مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية
Anbar University Journal Of Islamic Sciences
P. ISSN: 2071-6028 E. ISSN: 2706-8722
Volume 16- Issue 3 - September 2025 | المجلد 16- العدد 3 -أيلول 2025م

العَظمُ البَشَرِيِّ في القُرآنِ الكَريمِ (أوصافُهُ – أسْرارُهُ – دلالاتُهُ)

ا.م.د. حسان علي عبد الفراجي

جامعة الأنبار / كلية الآداب

1- الإيميل:
hasan.ali@uoanbar.edu.iq

DOI: 10.34278/aujis.2025.189032

تاريخ استلام البحث: 2024/9/18م

تاريخ قبول البحث للنشر: 2024/11/28م

تاريخ نشر البحث: 2025/9/1م

الكلمات المفتاحية:
العظم، البشري، القرآن، أوصافه، أسراره، دلالاته.

©Authors, 2025, College of Islamic Sciences University of Anbar. This is an open-access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الملخص

هذه الدّراسةُ تتناولُ البَحْثَ في العظمِ البشريِّ من خلالِ القُرآنِ الكريمِ، وتُسلِّطُ الضَّوءَ على أوصافهِ وأسرارهِ ودلالاتهِ، على وفقِ مَنْهجٍ موضوعيٍّ عامٍ، وتَجْدُرُ الإشارةُ إلى أنَّ تلك الأوصاف مستنتجة من اعتراضاتِ مُنكري البَعثِ والحشرِ أنفُسهِمْ، فضلاً عَمّا ذكره القرآن الكريم، لكنّي خصصت الدّراسة بالعظم البشري ليس غير، وثمة وصف ثالث ورد في دعاء نبيِّ الله زكريّا –عليه السَّلام–ـ فالبَحْثُ فريدٌ في نوعه، يختلفُ عَمّا كَتَبَهُ البَاحِثونَ –قديماً وحديثاً– في أعضاء جسم الإنسان، إذ كتبوا فيه من جوانب طبيّةٍ صِرفةٍ؛ بخلاف هذا البحث الذي جاء لإبرازَ أوصاف العظم البشري وأسراره ودلالاته، بحَسْبِ ما ظهر لكاتبه من هِداياتِ الآياتِ القرآنيةِ الكريمةِ، وما فَهِمَهُ عُلماءُ التفسير منها.

The Human Bone in the Holy Quran: Its Descriptions, Secrets and Connotations

Assist. Prof. Dr. Hassan Ali Abd Al-Faraji

University of Anbar - College of Arts

1: Email: hasan.ali@uoanbar.edu.iq

Abstract:

This study explores the connotations of the human bone through the Quran. It sheds light on its descriptions, secrets, and connotations according to a general objective methodology. It is worth noting that these descriptions are inferred from the objections of those who deny resurrection, as well as from what is mentioned in the Quran. However, the study is fused mainly on the human bone. There is also a third description of the human bone found in the supplication of Prophet Zechariah (PBUH). This study is unique in its kind, differing from what other researchers (old and modern) have written about human body parts, as they have written from purely medical aspects. In contrast, this study aims to highlight the descriptions, secrets, and connotations of the human bone as perceived by the author through the guidance of the noble Quranic verses and the interpretations of the exegests.

DOI: 10.34278/aujis.2025.189032

Submitted:	**18 /9 /2024**
Accepted:	**28 /11 /2024**
Published:	**1 /9 /2025**

Keywords:

bone, human, the Quran, descriptions, secrets,lndications.

©Authors, 2025, College of Islamic Sciences University of Anbar. This is an open-access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩﴾[1]،وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيّدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، أُذن الخير، ولسان الصِّدق، الذي بلغ عن الخالق أحكامه، فكان كما وصفه ربه ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾[2] اللهمَّ صلِّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابهِ الطاهرين، ومن اهتدى بهديهِ واقتفى أثرَهُ إلى يوم الدِّين.

أمّا بعد:

فقد اشار إليَّ أحد الباحثين الضالعين في علم التفسير: دراسة ألفاظ الرُّفاتِ والرَّميمِ في القرآن الكريم، وبعد النظر العميق وإجالة الفكر الطويل فيها، تحصّل أنّها جديرةٌ بالدراسةِ، فدرستها فعلاً، ثُمَّ خطر لي إضمامَ الآيات التي تحمل وصف العظام إليها؛ لأنّها متشابهة في الغرض والمغزى؛ ليكون البحث أشمل وأجمع؛ فبدأتُ مشوار الدِّراسةِ الوصفية للعظم البشري في القرآن الكريم، وكلمّا تقدّمتُ في البحث أكثر، وجدت أوصافاً جديدةً لعظم الإنسان –غير التي كُنتُ عازماً دراستها– مُستنتجاً إيّاها من تسميات مُنكري البعثِ والنُّشورِ، إذ نطق القرآن الكريم بها كثيراً، على ألسنة مُستبعدي إعادة العظام التي سيقت أصلاً في معرض الرَّدِ عليهم، كقوله –سبحانه–: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ۝١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ۝١٢﴾[3]، وقوله: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ۝٨٢

(1) السجدة: 7–9.

(2) الأنبياء: 107.

(3) النازعات: 10، 12.

﴾[1]، بَيْدَ أنّي رأيتُ أوصافًا للعظمِ البشريِّ من الباري –جلّت قدرته– كالذي وَرَدَ في قوله –سُبْحَانَهُ–: ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[2]، وآية أخرى من وصف المؤمنين الموحدين كدُعاءِ زكريا–عليه السَّلام–: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ ﴾[3]، غير أنَّ أغلب أوصاف العظم البشري في القرآن الكريم، إنما أخذتها من قول مُنكِري المَعاد أنفسهم، ولعلك تسأل الآن: لماذا اختار المُنكرونَ العظمَ حُجّةً من بين بقية أعضاء جسم الإنسان على عدم الإعادة!؟ ذكر المفسرون: أنَّ العظمَ أبعد عن الحياة؛ لعدمِ الإحساس به، ولهذا وَصَفَهُ الكافرونَ بتوصيفاتٍ تقوي–بحَسْبِ زعمهم– جانب بُعْدَ الإعادة[4].

فهذا البحثُ اختصَّ في إبرازِ أوصافِ عظمِ بني آدم في القرآن الكريم، فخرج عظم البهائم، كقوله–تعالى–: ﴿ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾[5] وقوله: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾[6]. ولم أتعرض للآيات التي لا تحمل لفظة عظم، كقوله–تعالى–: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ ﴾[7].

والذي أعنيه من وصف العظم البشري أيضًا: الوصف الموجود في القرآن الكريم، وهو إمّا أن يكون وصفًا من الباري –جلّت قدرته– لعظام بني البشر، حين خلقهم، أو يكون وصفًا من المؤمنين الخُلّص، أو وصفًا من مُنكري إعادة البعث–كما

---

(1) المؤمنون: 81.

(2) المؤمنون: 14.

(3) مريم: 4

(4) ينظر: الفخر الرازي.(ت606ه). *مفاتيح الغيب*. ط3. (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ–1999م)، :308/26.

(5) الأنعام: 146.

(6) البقرة: 259.

(7) ق:3.

أسلفت- فكانوا يأتون بأوصاف للعظم الرَّميم والناخر وغيرهما من الأوصاف، يرومون بها استبعاد إعادة إجزاء جسم الإنسان بعد الممات.

أهميّة البحث وأهدافه:

تكمن أهميّةُ البحث وأهدافه في جُملة أمورٍ أهمها ما يأتي:

1. قد جاء اختياري لهذا الموضوع، قبل كلِّ شيءٍ خدمةً لكتاب ربنا-جلَّ وعلا- وطلباً لرضوانهِ ورجاءً لثوابهِ وإحسانه.
2. اختص هذا البحث في تفسير القرآن الكريم، والتفسير: من أعظمِ العُلوم وأجَلِّها، وأعظمها بركةً، وأحسنها أثراً، وأوسعها معرفةً؛ لأنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ، وشرف العلم من شرف المعلوم.
3. لا شك أنَّ البحثَ سيسهمُ في إثراء مكتبة التفسير خاصّة، والمكتبة الإسلاميّة عامّة.
4. يهدف البحث على تسليط الضوء، في جزء مهم من أجزاء جسم الإنسان، ألا وهي العظام التي تعطي جسم الإنسان شكله وقوامه البشري، التي هي من مقومات الخلق الحَسن للإنسان.
5. كما أنَّ البحث يجعل المُسلم يتفكر في عظيم صنع الخبير العليم، في هذه العظام الصلبة، وأوصافها وأسرارها ودلالاتها.

ولهذه الأسباب المتقدّمةِ وغيرها مِمّا لم أذكره، شرعتُ في هذا العمل الذي أرجو أن يكون خالصاً لوجهه الكريم سبحانه.

منهج البحث:

اعتمدت في بحثي هذا، على دراسة العظم البشري في القرآن الكريم، من ناحيةٍ وصفيةٍ، ولم أدرسه من ناحيةٍ علميةٍ أو طبيةٍ، كما هو دارج في مثل تلك الدِّراسات، وقد تمَّ لي- بحمد الله وتوفيقه- ما كنت أرجوه، إخراج بحث قرآنيٍّ مُستقلٍ، يتناول موضوع العظام وأسرارها ودلالاتها، محاولاً التمسك بأقوال المفسرين المتقدمين قدر الإمكان، فلم أخرج عن أقوالهم قيد أُنملةٍ؛ ليكون بحثي منضبطاً بالقدر المستطاع.

الدِّراسات السَّابقة:

لم أعثر على دراسةٍ سابقةٍ في هذا الموضوع؛ لأنَّ الباحثين المتقدمين والمعاصرين، تناولوا الموضوع من جوانب طبيةٍ أو إعجازيّة، بخلاف هذا البحث إذ

خصصته لدراسة العظم البشري من ناحيّةٍ وصفيّةٍ، معتمداً على أوثق كتب التفسير، والعقيدة، واللغة، وغيرها.

خطة البحث

لقد جرى البحث -بعون الله وتوفيقه- على الخطة الآتية:

- ✓ **المقدمة:** وفيها الخطة، وأهمية البحث، **وأربعة مباحث:**
- ✓ **الأول منها: خصصته لتعريف العظم البشري وأطوار خلق البشر(التكوين والإنشاء)** وتطلب الحديث فيه أن يقسم على مطلبين مستقلين:

الأول: في تعريف العظم البشري،

والثاني: أطوار خلق البشر(التكوين والإنشاء).

- ✓ **والمبحث الثاني: وصف العظم البشري من خلال القرآن الكريم نفسه، ومن خلال دُعاءِ زكريّا-عليه السَّلام-** وتطلب الحديث عن هذين الوصفين في مطلبين مُستقلين:

الأول منهما: وصف العظم البشري في القرآن الكريم،

والآخر: وصف العظم البشري في دُعاءِ زكريّا-عليه السَّلام-.

- ✓ **والمبحث الثالث:** أوصاف العظم البشري على ألسنة مُنكري المعاد، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أوصاف العظم النَّاخر،

والمطلب الثاني: أوصاف العظم الرميم،

والمطلب الثالث: أوصاف العظم الرُّفات.

- ✓ **والمبحث الرابع:** أسرار ودلالات تلازمِ التُّربِ والعظامِ في مقولات مُنكري البعث والنشور.
- ✓ **وخاتمة، ومسرد المصادر والمراجع.**

فهذا الجهد بذلت فيه قصارى جهدي، وغاية وسعي، فما كان فيه من صوابٍ فمن الله -سبحانه- وما كان من خطأ فمني، والله أسأل أن ينفع بهذا العمل ويبارك فيه، وأن يجعله عملًا صالحاً ولوجهه خالصاً وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: تعريف العظم البشري وأطوار خلق البشر(التكوين والإنشاء)

سأتناول هذا الموضوع-بإذن الله تعالى- في مطلبين مُستقلين:

المطلب الأول: تعريف العظم البشري

مصطلح العظم البشري مركبٌ من كلمتينِ رُكِبَتَا تركيبًا وصفيًّا، هما: (العظم) و(البشري)، أمّا كلمة عظم، فقد بيّنها ابن فارس بيانًا شافيًا، إذ قال: "العينُ والظاءُ والميمُ أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على كِبَر وقُوّة...ومن الباب العَظْمُ، المعروف، سُمِّيَ بذلك؛ لقوّته وشِدّته"[1] وجمع العظم: عظام[2] "والعظام تشكل هيئة الجسم، فهي التي تضفي عليه قوته ومتانته، كما تتيح له التنقل من مكان إلى آخر، دون أن يتهاوى كالسمكة الرخوة، والعظام تحمي الأعضاء الداخلية؛ فعظام الجمجمة تحمي المخ، والأضلاع تحمي الرئتين والقلب وإلى حدٍ ما المعدة والكليتين، كما أنَّ عظام الحوض تحمي الأحشاء التي في الجزء الأسفل من الجسم"[3].

"والعظام على أشكال وأحجام شتى؛ فهناك العظام الطويلة، مثل: عظام الذراعينِ والسّاقينِ، وهناك العظام الصغيرة مثل عظام الأصابع، كما أنَّ هناك العظام المفلطحة مثل عظمي اللوح، وكُلُّ عظمٍ من عظام الجسم مشكل بحيث يؤدي وظيفته على أتمِّ وجه، فتجد في العظم بروزًا أو تجويفًا إلّا وله غرض معين، وهو أمر أثار دهشة وإعجاب كل مهندس درس تركيب وتكوين العظام"[4].

---

(1) أحمد بن فارس.(ت395هـ). معجم *مقاييس اللغة*. تح: عبد السَّلام محمد هَارُون.(اتحاد الكتاب العرب1423هـ- 2002م)، مادة: (عظم)، 289/4.

(2) ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي.(ت170هـ). *العين*. تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. (دار ومكتبة الهلال)، مادة: (عظم)، 91/2.

(3) برنارد جلمسر. *كُلّ شيء عن جسم الإنسان*. ترجمة صلاح الدين سلامة.ط4.(مصر: دار المعارف)،66/1.

(4) ينظر: المصدر نفسه،66/1.

وأمّا كلمة بشر، فقد وردت في معاجم اللغة دالة على الخلق والإنسان الواحد، قال الزبيدي: "البَشَرُ: الخَلْقُ، يَقَعُ على الأُنْثَى والذَّكَرِ، والواحِد والاثْنَيْنِ والجَمْعِ، لَا يُثَنَّى ولَا يُجمَعُ، يُقَال هِيَ بشرٌ، وَهُوَ بَشَرٌ، وهما بَشَرٌ، وهم بَشَرٌ.... وقد يثنى كما في القرآن الكريم:﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1] ولعلَّ العَرَبَ حين ثَنَّوه قَصَدُوا بِهِ حين إرادة التَّثْنِيَة لواحدَ، كَمَا هُوَ ظاهر"[2] والبَشَرُ –أيضاً–:

الإنْسانُ ذَكَرًا أو أُنْثَى، واحدًا أو جَمْعًا، وقد يُثَنَّى ويُجْمَعُ أبْشارًا[3] وما سُمِّيَ البَشَرُ بَشَراً إلّا لظُهورِهم[4] والْبَشَرَةُ أيضاً ظَاهِرُ الْجِلْدِ وَالْجَمْعُ الْبَشَرُ ... ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى الْإِنْسَانِ[5]. وآدم –عليه السَّلام– أبو البشر قاطبة بلا مُنازع[6].

وخلاصة القول: أنَّ لفظ البشر، يرد على معنيين: الخَلق والإنسان الواحد، والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء.

ووردت كلمة: (بشر) في لغة القرآن الكريم سبعًا وثلاثينَ مرةً في آيات مختلفات[7] وأتتْ في كناية عن الجنس البشري، إذ يطلقها القرآن الكريم حكاية عن الجاحدين نبوّة محمدٍ –صلى الله عليه وسلم– ورسالته، كقوله –تعالى–:﴿ وَمَا مَنَعَ

---

(1) المؤمنون:47.

(2) محمّد بن محمّد الزَّبيديُّ.(ت1205هـ). *تاج العروس من جواهر القاموس*. مجموعة من المحققين. (دار الهداية)، مادة: (بشر)، 183/10.

(3) محمد بن يعقوب الفيروزآبادى. (ت817هـ). *القاموس المحيط*..ط8. (بيروت: مؤسسة الرسالة،1426هـ– 2005م)، مادة: (بشر)، 350/1.

(4) ينظر: ابن فارس، مادة: (بشر)، 237/1.

(5) ينظر: أحمد بن محمد الفيومي.(ت نحو770هـ). *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*. (بيروت: المكتبة العلمية)،49/1.

(6) ينظر: محمد بن جرير الطبري.(ت310هـ).*جامع البيان في تأويل آي القرآن*. تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي.ط1. (مصر: دار هجر،1422هـ – 2001م)، 513/1.

(7) ينظر: إبراهيم السامرائي. *من وحي القرآن*. ط1. (العراق: اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، 1401هـ1981م)،122/1.

ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾﴾[1]، أو عن الرُّسل-صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً- الذين اختارهم الله -تَعَالَى-لحمل رسالته، قال-تعالى-: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾﴾[2]، وإنَّ لفظة: بشر معدومة الذِّكْرِ في الشّعر الجاهلي-كما قال الدكتور إبراهيم السامرائي- ولم ترد إلّا في القرآن الكريم[3]،

فالعظم البشري: هو الجزء المهم والأصلب والأقوى في جسم الإنسان، وهو على أشكال وأحجام شتى، وله أوصاف وأسرار ودلالات، وكلمة بشر تطلق في القرآن الكريم كناية عن الجنس البشري.

المطلب الثاني: أطوار خلق البشر"التكوين والإنشاء"

أكدت آيات القرآن الكريم، أنَّ أصْلَ تكوين الإنسان، مَرَّ بأطوارٍ عِدَّة، إلى أن أوجد الله -تَعَالَى- الإنسان السَّوِيَّ، المُعتَدل القامة، في أكمل صورة، وأحسن تقويم، قَالَ -تَعَالَى-: ﴿أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴿٣٧﴾﴾[4]، قال الحافظ ابن كثير[5]-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: "وهَذَا إِنْكَارٌ وتَعْظِيمٌ لِمَا

(1) الإسراء: 94.

(2) الشورى: 51.

(3) ينظر: السامرائي،123/1.

(4) الكهف: 37.

(5) [هو إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي(ت774هـ) له عدّة مصنفات منها: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، وغيرها كثير. ينظر: محمد بن عبد الله الدمشقي.(ت842هـ)]. *الرَّد الوافر*. تح: زهير الشاويش. ط1. (بيروت: المكتب الإسلامي، 1393هـ ـ1973م)،92/1.

وَقَعَ فِيهِ مِنْ جُحُودِ رَبِّهِ، الَّذِي خَلَقَهُ وَابْتَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ وَهُوَ آدَمُ"[1]، وقال الله –جلَّ ثناؤه–: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[2] والمراد بالإنسان في هذه الآية:

آدم–عليه السّلام–[3].

يظهر من النصين الكريمين المتقدمين آنفًا: أنَّ أصل تكوين البشريّة، مرَّ بأطوار عدّة، كما قال الله –تعالى–: ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾[4]، أي: "تارات وكرّات"[5]،ومن خلال تلك الأطوار سنتعرف على أوصاف العظم البشري حال الحياة، وتجدر الإشارة إلى أنَّ أطوار نشأة البشر بينتها آية سورة المؤمنون بيانًا تامًا شافيًا وهي كما يأتي:

أولاً– طور التراب: وهذا ظاهر من قوله –تعالى–: ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾[6]،وقوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ}[7]، يَعْنِي: خَلَقَ أَبَاكَ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ[8]، "والسّلالة: الشيء المسلول المنتَزع من شيء آخر[9]، فأصلُ البشر جميعًا من تراب، والأرض هي منشأ خلقهم، فمنها ينبتون، وإليها ينتهون بعد

(1) إسماعيل بن عمر بن كثير.(ت774هـ). *تفسير القرآن العظيم*. تح: سامي بن محمد سلامة . ط2. (دار طيبة، 1420هـ – 1999م)،158/5.

(2) المؤمنون: 12–14.

(3)عبد الله بن أحمد النسفي.(ت710هـ). مدارك التنزيل وحقائق التأويل. تح: يوسف علي بديوي.ط1. (بيروت: دار الكلم الطيب،1419هـ 1998م)،360/3.

(4) نوح: 14.

(5) النسفي،544/3.

(6) الكهف: 37.

(7) المؤمنون: 14.

(8) الطبري،263/15.

(9) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور.(ت1393هـ). *التحرير والتنوير*.(تونس: دار سحنون،1418هـ 1997م)،22/18.

مماتهم، ومنها يخرجون حين البعث، قال-تعالى-:﴿۞مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ٥٥﴾[1] والضمير في ﴿۞مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ يعود على الأرض، وقال: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١﴾[2]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨﴾[3]، والعودة إلى التراب، هي القدر المحتوم لكل إنسان، بعد نهاية الحياة الدنيا بالموت.

ثانيـــاً- طور النطفة: هي المرحلة التي خلق الإنسان فيها من النطفة، والنُّطْفَةُ: المَاءُ الصَّافِي وَهُوَ هُنَا مَادَّةُ التَّلْقِيحِ[4] وهي مَاءُ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ وَجَمْعُهَا نُطَفٌ وَنِطَافٌ[5] قال-تَعَالَى-: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢﴾[6] والنطفة هنا مجموع مَنِيِّ الرَّجُلِ والمرأة، وقد جاءت مفردة؛ لأنّها في معنى الجمع[7] وقال في آية أخرى:﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ

(1) طه: 55.
(2) هود: 61.
(3) نوح: 17، 18.
(4) أسعد حومة. *أيسر التفاسير*. ط4. (دمشق، 1419هـ-2009م)،628/1.
(5) الفيومي، مادة: (نطف)،(611/2).
(6) الإنسان:2.
(7) ينظر: عبد الله بن عمر البيضاوي.(ت685هـ). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي.ط1. (بيروت: دار إحياء التراث العربي ،1418هـ ـ 1997م)، 269/5، ومحمد بن يوسف الأندلسي.(ت745هـ). *البحر المحيط في التفسير*. تح: صدقي محمد جميل. (بيروت: دار الفكر، 1420هـ-1999م)،386/8، وعمر بن علي بن عادل.(ت775هـ). *اللباب في علوم الكتاب*. تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. ط1. (بيروت: دار الكتب العلمية،1419هـ-1998م)،5138/1.

﴿١٣﴾[1]،أي: "جَعَلْنَا الْإِنْسَانَ...نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، وَهُوَ حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ فِيهِ نُطْفَةُ الرَّجُلِ مِنْ رَحِمِ الْمَرْأَةِ، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ مَكِينٍ، لِأَنَّهُ مُكِّنَ لِذَلِكَ وَهُيِّئَ لَهُ لِيَسْتَقِرَّ فِيهِ إِلَى بُلُوغِ أَمْرِهِ الَّذِي جَعَلَهُ لَهُ قَرَارًا"[2].

ثالثـــاً- طور العلقة: وَهِيَ الدَّمُ الْغَلِيظُ الْمُتَجَمِّدُ الطري، وَجَمْعُهَا عَلَقٌ فتكون دَمًا غَلِيظًا ثُمَّ تَصِيرُ لَحْمًا[3] قال-تَعَالَى-: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾[4]، أي: دمًا جامداً بإفاضة أعراض الدّم عليها فتصيرها دمًا بحسب الوصف، وهذا من باب الحركة في الكيف[5]، والعلق: "جمع عَلَقَة وهي قطعةٌ قَدرُ الأنملة من الدّم الغليظ الجامد الباقي رطْبًا لم يجفّ؛ سُمّيَ بذلك تشبيهاً لها بدودة صغيرة حمراءُ داكنةٌ تكونُ في المياهِ الحُلوة، تمتصُّ الدّمَ من الحيوان إذا عَلِقَ خُرْطُومُهَا بجلده"[6]، وأنَّ نُطفة الذكر والمرأة بعد الاختلاط ومضي مدة كافيَة تصيران علقةً... فجُعلت العلقة مبدأ الخلق ولم تُجعل النطفة مبدأ الخلق؟ لأنَّ النطفة اشتهرت في ماء الرَّجُلِ فلو لم تخالطه نطفة المرأة لم تصرْ العلقة، فلا يتخلق الجنين، وفيه إشارة إلى أن خلق الإنسان من علق، ثم مصيره إلى كمال أشدّه هو خلق ينطوي على قوى كامنة وقابليات عظيمة، أقصاها قابلية العلم والكتابة[7].

---

(1) المؤمنون: 13.

(2) الطبري،20/17.

(3) ينظر: الحسين بن مسعود البغوي.(ت510هـ). *معالم التنزيل في تفسير القرآن*. تح: عبد الرزاق المهدي.ط1. (بيروت: دار إحياء التراث، 1420هـ)،324/3.

(4) المؤمنون: 14.

(5) ينظر: محمود بن عبد الله الآلوسي.(ت1270هـ). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. تح: علي عبد الباري عطية . ط1. (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ ـ1994م)، 216/9.

(6) ينظر: ابن عاشور،438/30.

(7) ينظر: المصدر نفسه،438/30.

رابعــاً- طور المضغة: والمضغة عند كثير من المفسرين قدر وحجم ما يمكن مضغه، وهيَ الْقطعَة من اللَّحْم[1] وسميت مضغة؛ لأنّها بقدر ما يمضغ، كَالْغُرْفَة وَهِيَ مِقْدَارُ مَا يُغْتَرَفُ، وَسُمِّيَ التَّحْوِيلُ خَلْقًا؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُفْنِي بَعْضَ أَعْرَاضِهَا، وَيَخْلُقُ أعراضاً غيرها، فسمى خلق الأعراض خلقاً لها وَكَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَخْلُقُ فِيهَا أَجْزَاءً زَائِدَةً[2] وللمضغة طورانِ أيضاً: طور المضغة المُخلّقة، وطور المضغة غير المُخلّقة، كما قال الله -تَعَالَى-: ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾[3] والمراد بالمُخَلَّقَة، أَيْ: مُستبينة الخلق مصورَّة، وَغَيْرِ مُخَلَّقَة، أي: لم يستبنْ خلقُها وصورتُها بعد، نَصَّ عليه ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ[4] واختارهُ جَمْعٌ من المُفسرين: كالقرطبي[5] وأبي السعود العمادي[6] والشوكاني[7] والآلوسي[8]

---

(1) ينظر: الطبري،16/19، ومنصور بن محمد السّمعاني.(ت489هـ). *تفسير القرآن*. تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. ط1. (الرياض: دار الوطن، 1418هـ ـ 1997م)، 467/3، ومحمد بن علي الشوكاني,(ت1250هـ). *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*. ط1. (دمشق- بيروت: دار ابن كثير،- دار الكلم الطيب،1414هـ- 1994م)،515/3، وابن عاشور،197/17.

(2) مكي بن أبي طالب الأندلسي.(ت437هـ). *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه*.تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي .ط1. (جامعة الشارقة،1439هـ - 2008م)، 4950/7، وينظر: الفخر الرازي،265/23.

(3) الحج: 5.

(4) الفخر الرازي،366/5.

(5) محمد بن أحمد القرطبي.(ت671هـ). الجامع لأحكام القرآن. تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.ط2. (القاهرة: دار الكتب المصرية،1384هـ- 1964م)،9/12.

(6) محمد بن مصطفى العمادي.(ت982هـ). *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، 93/6.

(7) 438/3.

(8) 112/9.

وابن عاشور[1] وغيرهم. وَذَكَرَ ابْنُ زَيْدٍ[2]: أَنَّ الْمُخَلَّقَةَ: خَلَقَ اللَّهُ فِيهَا الرَّأْسَ وَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ، وغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لم يخلق فيها شيء[3]. وقيل: المخلّقة: التّامّة الخلْقة، وغير المُخلّقة: السقْط قبل تمام خلْقة، قاله مجاهد[4]، واختاره الإمام الطبريُّ[5]، وابنُ جزي الكلبي[6]، والثعالبي[7]. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ–وهو القول الأقرب لكلام العرب[8]–: "وَالْمُخَلَّقَةُ: الْمُسَوَّاةُ الْمَلْسَاءُ مِنَ النُّقْصَانِ وَالْعَيْبِ، يُقَالُ: خَلَقَ السِّوَاكَ وَالْعُودَ: إِذَا سَوَّاهُ وَمَلَّسَهُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: صَخْرَةٌ خَلْقَاءُ: إِذَا كَانَتْ مَلْسَاءَ، كَأَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– يَخْلُقُ الْمُضْغَ مُتَفَاوِتَةً; مِنْهَا مَا هُوَ كَامِلُ الْخِلْقَةِ أَمْلَسُ مِنَ الْعُيُوبِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ عَلَى عَكْسِ ذَلِكَ، فَيَتْبَعُ ذَلِكَ التَّفَاوُتَ تَفَاوُتُ النَّاسِ فِي خَلْقِهِمْ وَصُوَرِهِمْ وَطُولِهِمْ وَقِصَرِهِمْ وَتَمَامِهِمْ وَنُقْصَانِهِمْ"[9]، واختـــــاره

---

(1) 198/17.

(2) [أحمد بن محمد بن أحمد الدمشقي، من علماء الحنابلة(ت870هـ) له: محاسن المساعي في مناقب الإمام الأوزاعي، وتحفة الساري إلى زيارة تميم الداريّ، وديوان خطب، وغير ذلك]. ينظر: خير الدين بن محمود الزركلي.(ت1396هـ). *الأعلام*. ط15. (دار العلم للملايين،1422هـ–2002م)، 230/1.

(3) ينظر: القرطبي،9/12.

(4) مجاهد بن جبر المخزومي.(ت104هـ). *تفسير مجاهد*. تح: محمد عبد السلام أبو النيل.ط1. (مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، 1410ه–1989م)،477/1.

(5) 463/16.

(6) محمد بن أحمد بن جزي الكلبي.(ت741هـ). *التسهيل لعلوم التنزيل*. تح: عبد الله الخالدي .ط1.(بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1416هـ–1995م)،33/2.

(7) عبد الرحمن بن محمد الثعالبي.(ت875هـ). *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*. تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود. ط1. (بيروت: دار إحياء التراث العربي،1418ه)ـ،109/4.

(8) [تقول العرب: حَجَرٌ أَخْلَقُ، أَي: لَين أَمْلَسُ مُصْمَتٌ، لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ شَيءٌ، وصَخْرَةٌ خَلْقاءُ: مُصْمَتَةٌ مَلْساء]. الزبيدي، مادة: خلق،253/25.

(9) محمود بن عمرو الزمخشري.(ت538هـ).*الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*.ط1. (بيروت: دار الكتاب العربي ،1407ه)،144/3.

النسفي[1]، وابن عرفة[2]، والشنقيطي[3]، ومحمد سيد طنطاوي[4].

خامســاً- طور خلق العظام: لم تتعرض سورة الحج للطور العظمي عندما تحدثت عن أطوار خلق الآدمي، إنما تناولته سورة المؤمنين، بقوله -سُبحانه-: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾[5]، وسأتكلّم عن هذه النقطة بمزيدٍ من التفصيل في المطلب الأول من المبحث الثالث القادم-إن شاء الله تعالى- .

سادســاً- طور إكساء العظام لحماً: وهو الطور الذي يلبس الله فيه العظام لحماً، على النحو الذي يناسبه، قال -تَعَالَى-:﴿ فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ﴾ [6]، أي: فَأَلْبَسْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا، كما قال أئمة التفسير الأجلاء: الطبري[7]، والثعلبي[8]، والسمعاني[9]، والبغوي[10]، وغيرهم. وهي استعارة في غاية الحسن؛ لأنَّ الكسوة هِيَ مَا وَارَى الْجَسَدَ مِنَ الثِّيَابِ، وَاسْتَعَارَهَا هُنَا لِمَا أَنْشَأَ مِنَ اللَّحْمِ الَّذِي غَطَّى بِهِ الْعَظْمَ[11]. وهنا يقف الإنسان مدهوشاً أمام ما كشف عنه القرآن، من حقيقة تكوين الجنين، لم تعرف على

---

(1) 428/2.

(2) محمد بن عرفة التونسي.(ت803هـ). *تفسير الإمام ابن عرفة*. تح: حسن المناعي. ط1. (تونس: مركز البحوث بالكلية الزيتونية ،1986م)، 181/3.

(3) محمد الأمين الشنقيطي.(ت1393هـ). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. (بيروت: دار الفكر، 1415هـ - 1995م)،268/4.

(4) محمد سيّد طنطاوي.(ت1431هـ). *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. ط1. (القاهرة: دار نهضة مصر)،279/9.

(5) المؤمنون: 14.

(6) المؤمنون:14.

(7) 21/17.

(8) أحمد بن محمد الثعلبي.(ت427هـ). *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*.تح: أبو محمد بن عاشور.ط1. (بيروت: دار إحياء التراث العربي ،1422هـ - 2002م) ،41/7.

(9) السمعاني،467/3.

(10) 361/3.

(11) ينظر: أبو حيّان، 639/2.

وجه الدقة إلّا أخيراً، بعد تقدّم علم الأجنة التشريحي، ذلك أنَّ خلايا العظام غير خلايا اللحم، وقد ثبت أنَّ خلايا العظام هي التي تتكون أولًا في الجنين، ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلّا بعد ظهور خلايا العظام، وتمام الهيكل العظمي للجنين، وهي الحقيقة التي يسجلها النص القرآني: ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ﴾[1] فسبحان العليم الخبير![2].

سابعـــاً- طور النشأة الأخير: وهو الذي عبر عنه القرآن الكريم:{ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}[3] ، وعبّر عنه في آيةٍ أخرى: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ۝٣٧ ﴾[4] مستوي الأجزاء بالغًا مبلغ الرِّجال[5]، وقد اختلف المفسرون في المراد بالخلق الآخر الوارد في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾[6] على أقوال عِدّة ساقها البغويُّ جميعاً في تفسيره، أظهرها: نفخ الروح، كما قال ابن عباس، ومجاهد، والشعبي، وعكرمة، والضحاك، وأبو العالية[7]. إذ ميّز الله -تَعَالَى- بين الخلق أو التسوية ونفخ الروح، فقال: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩ ﴾[8] فمن حكمةِ اللهِ -تَعَالَى- أنَّ البشر لمْ يُخْلقوا مكتملي الأعضاء، من أول وهلة، بل جعل أصل تكوينهم التراب، ثم النطفة ؛ لكيلا ينسوا أصل تكوينهم الأول، وليعلمنا رَبُنا الأخذ بالأسباب، فما من سبب في الوجود إلّا وله مسبب.

---

(1) المؤمنون: 14.

(2) ينظر: إبراهيم حسين سيّد قطب.(ت1386هـ). *في ظلال القرآن* .ط32. (القاهرة. دار الشروق ،1423م-2002م،2459/4.

(3) المؤمنون: 12-14.

(4) الكهف: 37.

(5) الزمخشري،722/2.

(6) المؤمنون: 12-14.

(7) ينظر: البغوي،412/5.

(8) الحجر:29.

المبحث الثالث: وصف العظم البشري من خلال القرآن الكريم نفسه، ومن خلال دُعاءِ زكريّا-عليه السَّلام-

وَصَفَ اللهُ -سُبْحَانَهُ- العظمَ البشريَّ في القرآن الكريم في حديثه عن خلق الإنسان، في سورة المؤمنون، زِدْ على ذلك وصف العظم البشري على لسان نبيِّ الله زكريّا -عليه السَّلام- وهو يطلب من ربه الذُّريّةَ بعدما صار شيخًا كبيرًا، وسأفرد مطلبين مستقلين للحديث عن هذين الوصفين:

المطلب الأول: وصف العظم البشري في القرآن الكريم

بيّنتُ سلفاً في مَعْرِضِ الحديثِ عن أطوار خلق الإنسان أنَّ سورة الحج لم تتعرض للطور العظمي، كيف خُلق، بل تناولته سورة المؤمنين، بقوله -سُبحانه-:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾[1]، أيْ: جَعَلْنَا تِلْكَ الْمُضْغَةَ اللَّحْمَ عِظَامًا، وَقَدِ اخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ سِوَى عَاصِمٍ:﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾[2]عَلَى الْجِمَاعِ، وَكَانَ عَاصِمٌ وَعَبْدُ اللَّهِ يَقْرَآنِ ذَلِكَ:(عَظْمًا) فِي الْحَرْفَيْنِ عَلَى التَّوْحِيدِ جَمِيعًا، وَالْقِرَاءَةُ الَّتِي نَخْتَارُ فِي ذَلِكَ الْجِمَاعُ؛ لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَيْهِ[3]؛ لأَنَّ الْإِنْسَانَ ذُو عِظَامٍ كثيرة[4]، وجَمْعُ الْعِظَامِ دون غيرها مِمَّا في الأطوار؛ لتغايرها هيئة وصلابة بخلاف غيرها[5]. وقد بيّن القرآن الكريم، أنَّ طور تكوين العظام، يكون بعد طور تكوين المضغة بمدّةٍ قصيرةٍ، كما دلَّ

(1) المؤمنون:12-14.
(2) المؤمنون: 14.
(3) ينظر: الطبري،21/17.
(4) البغوي،361/3.
(5) ينظر: الآلوسي،217/9.

عليه حرف العطف الفاء، قال المفسرون قوله تعالى:﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا ﴾[1] أي: صيّرنا[2] المضغة عظماً[3]. فشَكَّلْنَاهَا ذَات رَأْس ويَدَيْنِ ورِجْلَيْنِ عِظَامهَا وَعَصَبهَا وَعُرُوقهَا[4] وجعلناها مُتَصَلِّبَةً لِتَكُونَ عَمُوداً لِلْبَدَنِ
عَلَى أَشْكَالٍ مَخْصُوصَةٍ فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا، أَيْ: أَنْبَتَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- عَلَى كُلِّ عَظْمٍ لَحْمًا عَلَى الْمِقْدَارِ الَّذِي يَلِيقُ بِهِ وَيُنَاسِبُهُ[5].

والسؤال الأهم هنا: هل تتحول المضغة كلها عظاماً أم بعضها؟ قال بعض المفسرين: إنَّ التحول قد يكون للمضغة كلها، وقد يكون لبعضها[6]، والذي يبدو الآن متفقًا مع ما كشفه علم الأجنة، أنَّ التحول يكون لبعض المضغة، وجزءاً منها يتحول إلى عظام[7].

فالباري-جلّت قُدرتُهُ- شَكّلَ عِظامَ البشرِ بِمُنتهى الدِّقةِ والجَمالِ فجعلها صُلبةً مُتناسقةً، حيث خلقها -أول الأمر- لينةً ضعيفةً، ثُمَّ جعلها تتصلب رويداً رويداً إلى أن تتشكل عظاماً قويةً، ثُمَّ تبدأ تلك العظام- وفق حكمة الله- بالتنازل عن قوتها، إلى أنْ تَصِلَ إلى مرحلة الضَّعف في أُواخر عُمْرِ الإنسان.

(1) المؤمنون: 14.

(2) "وهذا التصيير على ما قيل بحسب الذات كتصيير الماء حجراً وبالعكس، وحقيقته: إزالة الصورة الأولى عن المادة، وإفاضة صورة أخرى عليها" الآلوسي،216/9.

(3) ينظر: الطبري،21/17، والفخر الرازي،265/23، والنسفي،461/2.

(4) ينظر: ابن كثير،466/5.

(5) ينظر: الشوكاني،564،565/3.

(6) ينظر: الآلوسي،216،217/9.

(7) ينظر: محمد عزالدين توفيق. *دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث*. ط1. (القاهرة: دار السلام، 1407هـ- 1986م)،135/1.

المطلب الثاني: وصف العظم البشري في دُعاءِ زكريّا-عليه السَّلام-.

لم يرد توصيف العظم الواهن من قبل الموحدين إلّا على لسان زكريّا- عليه السّلام- حين وصفه في دُعائه قائلًا: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي ﴾[1]، كناية عن ذهاب القوة والضَّعف، والوَهْنُ في اللغة: كلمتانِ تدلُّ إحداهما على ضَعف، والأخرى على زمان. فالأولى: وَهَنَ الشيءُ يَهِن وَهْناً: ضَعُف، وأوْهَنْتُه أنا، ومن هذا الواهِنَةُ: القُصَيرَى من الأضلاع، وهي أسفَلُها. والثانية: الوَهَن والمَوْهِن: ساعةٌ تمضي من اللَّيل، وأوْهَن الرَّجُل: صار أو سار في تلك السَّاعة[2]، والوهن: الضَّعف فِي الْعَمَلِ والأَمر، وَكَذَلِكَ فِي العَظْمِ ونَحْوِهِ، وفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ ﴾[3]؛ جَاءَ فِي تَفْسِيرِهِ ضَعْفًا عَلَى ضَعْفٍ أَي لَزِمَها بِحَمْلِهَا إِيَّاهُ أَنْ تَضْعُف مَرّةً بَعْدَ مرَّة[4]. والوَهْنُ اصطلاحًا: ضعف من حيث الخَلق، أو الخُلق[5]، وقد فرّقَ أهل اللغة بين الوهن والضَّعف، بقولهم: الوهنُ هُوَ أَن يفعل الْإِنْسَان فعل الضَّعِيف وهو قوي في نفسه، فهو من فعل الإنسان نفسه، أمّا الضعف فهو من فعل الله -تَعَالَى- بالإنسان[6]، أمّا أهل التفسير فمنهم من لم يُفرِّقْ بين الكلمتين، ومنهم من فرَّق بينهما اعتماداً على عطف المغايرة الوارد في قوله -تَعَالَى-:﴿ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا

---

(1) مريم: 4

(2) ينظر: ابن فارس، مادة: (وهن)، 115/6.

(3) لقمان: 14.

(4) ينظر: محمد بن مكرم بن منظور.(ت711هـ). *لسان العرب*.ط3. (بيروت: دار صادر، 1414هـ ـ 1994م)، مادة: (وهن)، 453/13.

(5) ينظر: الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني.(ت502هـ). *المفردات في غريب القرآن*. تح: صفوان عدنان الداودي.ط1. (دمشق-بيروت: دار القلم، الدار الشامية ، 1412هـ ـ 1992م)،887/1.

(6) ينظر: الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري.(ت: نحو 395هـ). *الفروق اللغوية*. تح: محمد إبراهيم سليم. (القاهرة: دار العلم، القاهرة)،115/1.

ٱسۡتَكَانُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[1]، على آية حالٍ، لا يهمنا الغوص في الخلاف كثيراً، من حيث وجود الفرق أو عدمه بين الكلمتين، بقدر ما يهمنا وصف العظم الواهن ومعناه في قوله –تَعَالَى–: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾ ﴾[2] وإنَّ وصف العظم الواهن، من تسمية نبيِّ الله –تَعَالَى–زكريّا–عليه السَّلام– إذ قال في دُعائه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي ...﴾[3] والمراد بالوهن في هذه الآية كما قال أئمة اللغة والتفسير: الضعف في العمل وفي الأشياء، وكذلك في العظم ونحوه ، مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ... ﴾[4]،أَيْ: لَا تَضْعُفُوا عَنِ الْجِهَادِ[5] وإنما ذكر العظم؛ لأنّهُ عمود البدن وبه قوامه، وهو أصل بنائه، فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته؛ ولأنَّه أشد ما فيه وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن[6]، وقوله: ﴿ وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي ﴾ أبلغ في الإبانة عن الضعف، من قوله: (وهن عظمي) لأنّهُ –أيْ: زكريا –عليه السّلام– يُحَدّثُ عن أن معه عظماً، وأنّهُ ما زال يملكه ويحرص عليه بخلاف الأخيرة الدالة على أنه لا عظم معه، بل لقد ذهب هذا العظم[7]، وفي ذكره وهن العظم دون اللحم، وجهان: **أحدهما:** أنّهُ لمّا وهن العظم الذي هو أقوى كان وهن اللحم والجلد أولى. **والثاني:** أنّهُ اشتكى ضعف البطش, والبطش إنما يكون

(1) آل عمران: 146.
(2) مريم: 4
(3) مريم: 4
(4) آل عمران: 139.
(5) ينظر: الفراهيدي، مادة: (وهن)،(:4/92)، والفخر الرازي،371/9.
(6) الزمخشري،4/3، وينظر: أبو حيّان،239/7.
(7) ينظر: عبدالكريم بن يونس الخطيب.(ت1390هـ). *التفسير القرآني للقرآن*. (القاهرة: دار الفكر العربي)،723/8.

بالعظم دون اللحم[1]، فالظاهر أنّهُ اشتكى من وهن العظم، أمّا ما وَرَدَ عن قتادة أنّهُ اشْتَكَى سُقُوطَ الْأَضْرَاسِ[2] فهذا ممّا لا يكاد يسلم من النقد؛ لأنّهُ يحتاج إلى خبرٍ يدل عليه[3]. أمّا عَنْ سببِ طلب زكريّا -عليه السّلام- الذُريّةَ من ربه وهو شيخٌ كبيرٌ؟ فقالوا: لما رآه من المعجزات حينما كان كفيلًا لمريم-عليها السّلام- وقد أوضحت سورة آل عمران تفاصيل ما جرى، بقوله-تَعَالَى:﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾[4] ذكر الحافظ ابن كثير أنّه لَمَّا رَأَى زَكَرِيَّا-عَلَيْهِ السَّلَام- أَنَّ اللَّه يَرْزُق مَرْيَم-عَلَيْهَا السَّلَام- فَاكِهَة الشِّتَاء فِي الصَّيْف وَفَاكِهَة الصَّيْف فِي الشِّتَاء، طَمِعَ حِينَئِذٍ فِي الْوَلَد، وَإِنْ كَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ وَهَنَ مِنْهُ الْعَظْم، وَاشْتَعَلَ الرَّأْس شَيْبًا، وَكَانَتْ اِمْرَأَته مَعَ ذَلِكَ كَبِيرَة وَعَاقِرًا، لَكِنَّهُ مَعَ هَذَا كُلّه سَأَلَ رَبّه وَنَادَاهُ نِدَاء خَفِيًّا[5].

(1) علي بن محمد الماوردي.(ت450هـ). *النكت والعيون*. تح: ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم (بيروت: دار الكتب العلمية)،354/3.

(2) ينظر: المصدر نفسه:239/7.

(3) الآلوسي،380/8.

(4) آل عمران: 37، 41.

(5) ينظر: ابن كثير،37/2.

وقد أجيبت دعوة زكريّا-عليه السّلام- على الفور بدلالة حرف الفاء الذي يفيد الترتيب والتعقيب، في قوله-تَعَالَى-:﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾[1] والمُنادي جبريل- عليه السّلام- وعبّر عنه باسم الجماعة تعظيماً له؛ لأنّهُ رئيسهم[2].

وصفوة القول: إنَّ الْعِظَامَ أَصْلَبُ الْأَعْضَاءِ الَّتِي فِي الْبَدَنِ وَجُعِلَتْ كَذَلِكَ لِمَنْفَعَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا: لِأَنْ تَكُونَ أَسَاسًا وَعُمُدًا يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا سَائِرُ الْأَعْضَاءِ الْأُخَرِ إِذْ كَانَتِ الْأَعْضَاءُ كُلُّهَا مَوْضُوعَةً عَلَى الْعِظَامِ وَالْحَامِلُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى مِنَ الْمَحْمُولِ. وَالثَّانِيَةُ: أَنَّهُ احْتِيجَ إِلَيْهَا فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ لِأَنْ تَكُونَ جُنَّةً يَقْوَى بِهَا مَا سِوَاهَا مِنَ الْأَعْضَاءِ بِمَنْزِلَةِ قِحْفِ الرَّأْسِ وَعِظَامِ الصَّدْرِ، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ صُلْبًا لِيَكُونَ صَبُورًا عَلَى مُلَاقَاةِ الْآفَاتِ بَعِيدًا مِنَ الْقَبُولِ لَهَا إِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ: إِذَا كَانَ الْعَظْمُ أَصْلَبَ الْأَعْضَاءِ فَمَتَى وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى ضَعْفِهَا كَانَ ضَعْفُ مَا عَدَاهَا مَعَ رَخَاوَتِهَا أَوْلَى، وَلِأَنَّ الْعَظْمَ إِذَا كَانَ حَامِلًا لِسَائِرِ الْأَعْضَاءِ كان تطرق الضعف إلى الحامل مُوجِباً لِتَطَرُّقِهِ إِلَى الْمَحْمُولِ فَلِهَذَا السَّبَبِ خَصَّ الْعَظْمَ بِالْوَهْنِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ[3].

نفهم مِمّا تقدّم آنفاً، أنَّ الأصْلَ في العظمِ البشريِّ القوةُ والصّلابةُ، غير أنَّهُ يضعف شيئًا فشيئًا حينما يكبر الإنسان ويتقدّم به العمر، فيكون هشًا ضعيفًا، لذلك وصفه زكريّا بالعظم الوهن، وقد اختاره زكريّا من بين بقيّة الأعضاء للدلالة على ضعفه؛ لأنَّ العظم أصلب جُزءاً في أعضاء الإنسان، فإن أصابه الوهن كان غيره أولى بالضعف، يريد كيف تكون له ذريّة وقد كُبر وضعفت قواه وأجزاء جسمه ولا سيّما عظمة صار واهنًا، وشعره قد اشتعل في الشيب !؟

---

(1) آل عمران: 39.

(2) ينظر: محمد بن مصطفى العمادي.(ت982هـ). *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. (بيروت: دار إحياء التراث العربي)،31/2.

(3) ينظر: الفخر الرازي،508/21، 509.

المبحث الثالث: أوصاف العظم البشري على ألسنة مُنكري المعاد

وُصِفَ العظم البشري في القرآن الكريم بتوصيفاتٍ عِدّةٍ على ألسنة طوائف من البشر جُلّهم من مُنكري البعث والنشور، فوصفوهُ بالنّاخر والرّميم والرُّفات، وغرضهم –كما أسلفت– استبعاد المعاد، وقد نسي هؤلاء انَّ قدرة الإيجاد من العدم أصعب من الإعادة ! وسأتكلم عن تلك الأوصاف في مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: أوصاف العظم النَّاخر

تكررت حكاية تساؤل الكفار عن بعثهم، بعد أن يكونوا عظاماً نخرة، وتكرّرَ الردّ عليهم، ووصف ما سوف يحلّ بهم، بما يقارب ما جاء في هذه الآيات، فكانت المواقف تتجدد، فتقضي حكمة التنزيل بتجدد الحكاية، والردّ استهدافاً للهدف الذي نبهّنا عليه كما هو المتبادر[1]، وشبهتهم في ذلك: أنَّ الإنسان إذا مات فني وصار عظاماً نخرة، فإنّه لا يعاد، وقد نطق القرآن في كثيرٍ من الآياتِ معبراً عن إنكار كفار مكة البعث، كالتي في قوله –تَعَالَى–: ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾[2] و{الْحَافِرَةِ}: الرجوع إلى أول الأمر... وقيل: الحافرة الأرض التي تحفر فيها قبورهم سُميّت حافرة؛ لأنّها يستقر عليها الحافر[3]، فقولهم: {أَإِذا كُنَّا عِظاماً نَخِرَةً}، أَيْ: بَالِيَةً مُتَفَتِّتَةً، يُقَالُ: نَخِرَ الْعَظْمُ بِالْكَسْرِ إِذَا بَلِيَ، وهذا استفهامٌ إنكاريٌّ مُؤكدٌ للاستفهامِ الأول؛ للدلالة على أنَّ هذه الحالة جديرةٌ بزيادةِ إنكار الإرجاع إلى الحياةِ بعد الموتِ، أَيْ: كيف نُردُّ أحياءً

---

(1) ينظر: محمد عزت دروزة.(ت1404هـ). *التفسير الحديث*. (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1383هـ– 1963م)،412/5.

(2) النازعات: 10، 12.

(3) ينظر: محمد بن عزيز السجستاني.(ت330هـ). *غريب القرآن*. تح: محمد أديب عبد الواحد جمران. (دار قتيبة، 1416هـ– 1995م)،197/1، وعلي بن محمد الخازن.(ت741هـ)،. *لباب التأويل في معاني التنزيل*. ط1. (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ– 1995م)،206/7.

ونبعثُ إذا كُنا عظاماً نخرةً، فهما إنكاران لإظهار شدّةِ إحالتهِ[1]. وسأقف هنا قليلاً مع أهل القراءات؛ لمعرفة الفرق بين(ناخرة ونخرة) وأيتهما أبلغ في نظر المفسرين؟ قرأ أهل الكوفة وأيوب(ناخرة) بالألف، وقرأ الباقون (نخرة) بغير الألف[2]، وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم، قال أبو عبيد: إنّما اخترناه؛ لحجتين: **إحداهما:** أن الجمهور الأعظم من الناس عليها، منهم أهل تهامة والحجاز والشام والبصرة، **والأُخرى:** إنّا قد نظرنا في الآثار التي فيها ذكر العظام التي قد نخرت فوجدناها كلّها العظام النخرة، ولم أسمع في شيء منها الناخرة، وكان أبو عمرو يحتج بحجة ثالثة، قال: إنّما يكون تناخره إلى تنخرها، ولم يفعل، وهما لغتان في قول أكثر أهل اللسان، مثل: الطمع والطامع، والبخل والباخل، والفره والفاره، والجذر والجاذر، وفرّق بينهما، فقالوا: النخرة: البالية، والناخرة: المُجوّفة التي تمرّ فيها الريح فتخرّ أي تصوّت[3]. فهما جميعاً لغتان أيهما قرأت فحسن قاله الأخفش[4] ويرى الفراء أنهما سواء في المعنى[5]، ونقل اتحاد المعنى أيضاً عن أبي عبيدة وأبي حاتم وآخرين[6] وَعَن أبي عَمْرو بن الْعَلَاء: "أَنَّ النخرة هِيَ الَّتِي قد بليت، والناخرة هِيَ الَّتِي لم تبل بعد، وَعَن وَكِيع، قَالَ: هِيَ الَّتِي تدخل الرّيح فِي جوفها فتنخر، وَهُوَ مَنْقُول أَيْضاً عَن أهل اللُّغَة"[7].

(1) ينظر: الشوكاني،452/5، وابن عاشور،71/30،70.

(2) ينظر: أحمد بن موسى بن مجاهد.(324هـ).السبعة في القراءات.تح: شوقي ضيف.ط2. (مصر: دار المعارف، 1400هـ)،670/1.

(3) ينظر: الثعلبي،126/10، والبغوي،207/5،206.

(4) ينظر: علي بن أحمد الواحدي.(ت468هـ). *الوسيط في تفسير القرآن المجيد*.تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون.ط1. (بيروت: دار الكتب العلمية ، 1415هـ-1994م)،419/4.

(5) ينظر: يحيى بن زياد الفراء.(ت07هـ).معاني القرآن. تح: أحمد يوسف النجاتي وآخرون.ط1. (مصر: الدار المصرية)،231/3.

(6) ينظر: الآلوسي،229/15.

(7) السمعاني،148/6.

وقراءة الأكثرين أبلغ، فقد صرحوا بأنَّ فعلاً أبلغ من فاعل، وإن كانت حروفه أكثر، وقولهم: زيادة المبنى تدُّلُ على زيادة المعنى أغلبي، أو إذا اتحد النوع لا إذا اختلف، كأن كان فاعل اسم فاعل وفعل صفة مشبهة، نعم تلك القراءة أوفق برؤوس الآي، واختيارها لذلك لا يفيد اتحادها مع الأخرى في المبالغة، كما وُهِمَ، وإلى الأبلغية ذهب المعظم، وفُسِّرَتْ النخرة عليه بالأشد بلى، فظهر بذلك أنَّ فَعِل أبلغ من فاعل... وهو البالي الأجوف الذي تمرُّ فيه الريح, فيسمع له نخير[1] قال المفسّرون: والمراد أنهم أنكروا البعث، وقالوا: نردّ أحياء إذا متنا وبليت عظامنا؟! تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ، أيْ: إن رددنا بعد الموت لنخسرنّ بما يصيبنا ممّا يعدنا به محمّد، فأعلمهم الله بسهولة البعث عليه[2]، بقوله:﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾[3] والزجر هنا: ممّا يلام هذه الطباع الساخرة[4]. والساهرة فيها أقوال للمفسرين أشهرها: وجه الأرض، قاله ابن عباس: ومجاهد، وعكرمة والضّحّاك، واللغويون"[5]، قال الفرّاء: "كأنها سمّيت بهذا الاسم؛ لأنَّ فيها الحيوان نومهم وسهرهم[6]، بمعنى أنَّ القادر على أن ينشأ الإنسان من نطفة قادرٌ على الإعادة، إذ من المألوف أنَّ إعادة الشيء بعد نقضه أيسر من إنشائه أولاً، كما في قوله –تَعَالَى– :﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾[7] والضمير في: ﴿يُحْيِيهَا﴾ عائدٌ إلى العظام في الآية السابقة، وقوله:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ

(1) ينظر: الزمخشري، 694/4.

(2) ينظر: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي.(ت597هـ). *زاد المسير في علم التفسير*.تح: عبد الرزاق المهدي.ط1. (بيروت: دار الكتاب العربي، 1422هـ–2001م)،395/4.

(3) النازعات: 13، 14.

(4) إبراهيم حسين الشاذلي سيد قطب .(ت1386هـ). *مشاهد القيامة في القرآن*. (بغداد: أنوار دجلة)، 224/1.

(5) ابن الجوزي،395/4.

(6) ينظر: الفراء ،232/3.

(7) يس: 79.

يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ ﴾[1] وقوله ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ﴾ [2] وغيرها...

وتأسيساً على ما تقدّمَ يظهر أنَّ العظمَ البشريّ، وإن كان قويًّا حال الحياة، وبخاصّة في مرحلة الفُتوة والشباب، غير أنَّهُ يضعف رويداً رويداً حينما يكبر الإنسان فيصير شيخاً، كما أنه حين الممات يتحول إلى عظمٍ ناخرٍ ضعيفٍ- بحسب سنن الله الجارية في خلقه- لأجل ذلك استبعد منكرو البعث، إمكانيّة إعادة الإنسان من جديد، بعدما يصير العظم ناخراً- بحسبِ زعمهم- أيْ: فُتاتاً وَحُطاماً، فجاءهم الرّدُّ في غيرِ موضعٍ من القرآنِ الكريمِ دالًا على الرّفض والإنكار حيناً، وعلى التعجب حيناً آخر.

المطلب الثاني: أوصاف العظم الرَّميم

إنَّ من أوصاف أهل الكفر للعظم البشري البالي، قولهم: إنّهُ رَميمٌ، والرَّميمُ كما قال أهل اللغة: "على وزن فعيل يستوي فيها المذكّر والمؤنّث والجمع"[3]، وهي: "مَا بَقِيَ من نَبْتٍ عامٍ أَوَّلَ ... والرَّميمُ: الخَلَق البَالِي من كلّ شَيْءٍ"[4]، و"رمم فِيهَا قَولَانِ: أَحدهمَا: إِنَّهَا بِمَعْنى الرميم وَهُوَ الْعظم الْبَالِي. وَمِنْه شيخ رمة، أَي: فانٍ. وَالثَّانِي: أَنَّهَا جمع رَمِيم كجليل وَجلة ورم الْعظم: بلي، وَمِنْه مَا يرْوى عَن أُبي بن خلف أَنه لمّا نزل قَوْله -تَعَالَى-: ﴿ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ ﴾[5] أَتَى بِعظم بالٍ إِلَى النَّبيِّ-

(1) الروم: 27.

(2) الإسراء: 51.

(3) إسماعيل بن حماد الجوهري.(ت393هـ). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. تح: أحمد عبد الغفور عطار.ط4. (بيروت: دار العلم للملايين، 1407هـ - 1987م)، مادة: (رمم)، 1937/5.

(4) الزبيدي، مادة: (رمم)، 288/32.

(5) يس: 78 .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَجعل يفتّه ويَقُول: أَتَرَى الله يَا مُحَمَّد يحيي هَذَا بعد مَا رمّ"[1] وهو سبب نزول الآية كما قَرَّرَ المفسرون[2]، إذ قالوا: إنَّ أُبيًّا بن خَلَفَ أتى النَّبيَّ –صلى الله عليه وسلم–بعظم حائلٍ قَدْ بلي فَقَالَ :يا مُحَمّد، أترى الله يحيي هَذَا بَعْدَ ما قَدْ رمَّ ؟ فقال: " نعم، ويبعثك ويدخلك فِي النار" فأنزل الله –تعالى– هَذِهِ الآيات:﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾. وَقَالَ آخَرُونَ: "بَلْ عُنِيَ بِهِ: الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ... وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِهِ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ"[3].

وقال مجاهد وقتادة: "إن الذي جاء بالعظم النّخرْ أمية بن خلف، وقاله الحسن أيضاً، وقال ابن عباس: هو عبد الله بن أبي ابن سلول"[4].

"وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ، وَفِيهَا بَيَانُ الْقُدْرَةِ وَكَشْفُ قَبِيحِ مَا فَعَلُوهُ، مِنْ جَحْدِ نِعَمِ اللَّهِ مَعَ ظُهُورِهَا عَلَيْهِمْ"[5]، وقد أطلق الشهرستاني على هذا الصِّنفِ المُنكِرِ البعثِ والإعادةِ بمعطلةِ العربِ! إذ أقرَّ هؤلاء بالخالق وابتداء الخلق والإبداع، وأنكروا البعث والإعادة، فاستدل عليهم بالنشأة الأولى، إذ اعترفوا بالخلق الأول[6]، فقال:﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾[7] وقال: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ

---

(1) محمود بن عمرو الزمخشري.(ت538هـ). *الفائق في غريب الحديث والأثر*. تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم.ط2. (بيروت: دار المعرفة)،84/2.

(2) ينظر: الطبري،486/19،485، والبغوي،9/5، وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت911هـ) .*الدر المنثور في التفسير بالماثور*. تح: مركز هجر للبحوث. (مصر: دار هجر ،1424هـ ـ 2003م)،380/12.

(3) ينظر: الطبري،487/19،486.

(4)عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي.(ت542هـ). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تح: عبد السلام عبد الشافي .ط1. (بيروت: دار الكتب العلمية،1422هـ–2001م)،463/4.

(5) البغوي،9/5.

(6) ينظر: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني.(ت 548هـ). *الملل والنحل*. تح: محمد سيد كيلاني. (بيروت: دار المعرفة– 1404ه)ـ،234/2.

(7) يس:78.

بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٥﴾﴾[1] "فقاس القدرة على الأيسر على القدرة على الأعظم؛ لأنّ القدرة على النشأة الأُولى، وعلى خلق السَّموات والأرض دليلٌ على النّشأة الثّانية من باب أولى"[2]. وبيّن الفخر الرازي علّة اختيارهم الْعَظْمَ لِلذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ أَبْعَدُ عَنِ الْحَيَاةِ لِعَدَمِ الْإِحْسَاسِ فِيهِ، وَوَصَفُوهُ بِمَا يُقَوِّي جَانِبَ الِاسْتِبْعَادِ مِنَ الْبِلَى وَالتَّفَتُّتِ، وَاللَّهُ _تَعَالَى_ دَفَعَ اسْتِبْعَادَهُمْ مِنْ جِهَةِ مَا فِي الْمُعِيدِ مِنَ الْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ، فَقَالَ: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا} أَيْ: جَعَلَ قُدْرَتَنَا كَقُدْرَتِهِمْ وَنَسِيَ خَلْقَهُ الْعَجِيبَ وَبَدْأَهُ الْغَرِيبَ[3].

وهنا سؤالان وجوابهما: **الأول منهما:** في غرض الاستفهام ونوع مَنْ، في قوله –تعالى–: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾﴾؟ وجوابه: نوع الاستفهام في قوله:﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ﴾ إنكاري. و{مَنْ} عامّة في كل من يسند إليه الخبر. فالمعنى: لا أحد يحيي العظام وهي رميم، فشمل عمومه إنكارهم أن يكون الله تعالى مُحييًا للعظام وهي رميم، أي: في حال كونها رميماً[4]. **والثاني:** في العظامِ هل فيها حَيَاةٌ وأَنها تُنَجَّسُ بِالْمَوْتِ؟ جوابه: في تعليق الإحياء بالعظام دلالة على أن عظام الحيّ تحلّها الحياة كلحمهِ ودمهِ، وليست بمنزلة القصب والخشب وهو قول مالك وأبي حنيفة ولذلك تنجس عظام الحيوان الذي مات دون ذكاة. وعن الشافعي: أنّ العظم لا تحلّه الحياة فلا ينجس بالموت[5]. وقد اضْطَرَبَ أربابُ المذاهبِ فيه،

---

(1) ق:15.

(2) عيسى بن عبد الله السعدي. *آثار المثل الأعلى*. ط1. (الطائف: دار ابن الجوزي، 1427هـ-2006م)، 109/1، 110.

(3) ينظر: الفخر الرازي،308/26.

(4) ينظر: ابن عاشور،75/23.

(5) ينظر: المصدر نفسه:76/23.

والصَّحيحُ ما قدّمناهُ[1]. يعني أنَّ بعضهم نسب إلى الشافعي موافقة قول مالك، وهو قول أحمد فيصير اتفاقاً وعلماء الطب يثبتون الحياة في العظام والإحساس[2].

والحاصل أنَّ هذا الكافر أيًّا كان اسْتَبْعَدَ إِعَادَةَ اللَّه –تعَالَى– ذي الْقُدْرَة الْعَظِيمَة الَّتي خَلَقَت السموات وَالْأَرْض–لِلْأَجْسَاد وَالْعِظَام الرَّميمَة، ونَسِيَ نَفْسَهُ، وأَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ مِنَ الْعَدَمِ، فَعَلِمَ مِنْ نَفْسِه مَا هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا اسْتَبْعَدَهُ وأَنْكَرَهُ وجَحَدَهُ؛ ولِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾،أَيْ: يَعْلَمُ الْعِظَامَ فِي سَائِرِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَأَرْجَائِهَا، أَيْنَ ذَهَبَتْ، وَأَيْنَ تَفَرَّقَتْ وتَمَزَّقَتْ[3]. روى الإمام أحمد في مسنده أنَّ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو قالَ لِحُذَيْفَةَ : أَلاَ تُحَدِّثُنَا مَا سَمِعْتَ رَسُولَ الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: قَالَ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : "إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، فَلَمَّا أَيِسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا جَزْلاً، ثُمَّ أَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا، حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي وَخَلَصَ إِلَى عَظْمِي فَامْتَحَشَتْ، فَخُذُوهَا فَاذْرُوهَا فِي الْيَمِّ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ، قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ قَالَ: فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ. قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو: وَأَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ وَكَانَ نَبَّاشًا"[4].

ومُلخّصُ القَولِ: إنَّ الكافر الذي نزلت بسببه الآية، وصف العظام البالية التي فتتها بالرَّميم، يريد التمثيل أنه إعادة لمثل من يُصار إلى هذا الحال، ونَسِيَ أصل خلقته

---

(1) ينظر: محمد بن عبد الله بن العربي(ت543هـ).*أحكام القرآن*. تح: محمد عبد القادر عطا.ط3.(بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ – 2003م)،29/4.

(2) ينظر: ابن عاشور،76/23.

(3) ينظر: ابن كثير،594/6.

(4) أحمد بن حنبل الشيباني.(ت241هـ). *مسند أحمد بن حنبل*. تح: أبو المعاطي النوري.ط1. (بيروت:عالم الكتب،1419هـ– 1998م)،395/5. والحديث كما ذكر ابن كثير في التفسير،595/6 مُخَرّجٌ في الصحيحين، مِنْ حَدِيثِ عبدالملك بن عُمير، بألفاظٍ كثيرٍ منها: أنّهُ أمرَ بنيهِ أن يَحرقوهُ ثمَّ يسحقوهُ، ثمّ يذروا نصفهُ في البر ونصفه في البحر، في يومٍ رائحٍ–أيْ: كثير الهواء– ففعلوا ذلك، فأمر اللهُ البحرَ فَجَمَعَ ما فيه، وأمرَ البرَّ فَجَمَعَ ما فيه، ثمَّ قال له: كُنْ، فإذا هو رجلٌ قائمٌ، فقال: ما حملك على ما صنعتَ؟ فقال: مخافتُك وأنت أعلمُ، فما تلافاهُ أن غفَرَ لهُ.

الأولى، فالذي أنشأه أول مرةٍ، وخلقه بكلمة كُنْ، أجدر على إعادته إنساناً كما كان من باب أولى، وهذه من الحجج القويّة التي لا يمكن لأَعْلَمُ الْبَشَرِ وَأَفْصَحُهُمْ وَأَقْدَرُهُمْ عَلَى الْبَيَانِ، أَنْ يَأْتِيَ بِأَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ الْحُجَّةِ، أَوْ بِمِثْلِهَا، بِأَلْفَاظٍ تُشَابِهِ هذه الْأَلْفَاظَ في الْإِيجَازِ وَوَضَحِ الْأَدِلَّةِ وَصِحَّةِ الْبُرْهَانِ لَمَا قَدَرَ... [1].

المطلب الثالث: أوصاف العظم الرُّفات

وردت مادة رفت في معاجم اللغة العربية دالة على الحطام[2] قال –تَعَالَى–: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾ ﴾[3] وقال:﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴿٩٨﴾﴾[4] والرُّفاتُ: الحُطام مِنْ كُلِّ شَيْءٍ تكَسَّر أو ما بُولِغَ في دقِّه وتفْتيته" [5] وَلَمَّا أَرَادَ ابْنُ الزُّبَيْرِ هَدْمَ الْكَعْبَةِ وَبِنَاءَهَا بِالْوَرْسِ[6]، قِيلَ لَهُ: إِنَّ الْوَرْسَ يَرْفَتُّ، أَيْ: يَتَفَتَّتُ ويصير رُفَاتًا[7].

ننتقل الآن إلى النص القرآني الأول من سورة الإسراء، لنتأمل فيه التصوير الفني البليغ، وطريقة القرآن الكريم في الردِّ على منكري النبوة ومعاد الأجساد، قال

---

(1) ينظر: محمد بن علاءالدين بن أبي العز الحنفي.(ت792هـ). *شرح العقيدة الطحاوية*. تح: أحمد شاكر.ط1. (السعودية: وزارة الأوقاف، 1418هـ)،406/1.

(2) ينظر: الجوهري، مادة: (رفت)، 249/1.

(3) الإسراء: 49 .

(4) الإسراء: 45 ـــ 49.

(5) ابن منظور، مادة: (رفت)، 34/2.

(6) [الوَرْسُ: نبتٌ أصفر يكون باليمن يُتَّخذ منه الغُمْرَةُ للوجه]. الجوهري، مادة:(ورس)، 988/3.

(7) ينظر: محمد بن عبد الله الأزرقي.(ت250هـ). *أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار*. تح: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش.ط1.(مكتبة الأسدي،1424هـ– 2003م)،299/1، ومحمد بن الأثير.(ت606هـ). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي . (بيروت: المكتبة العلمية، 1399هـ– 1979م)،241/2.

الباري -جلَّ وعلا-: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٩ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ٥١ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ٥٢ ﴾[1] ونبدأ في مُناسبة الآية: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٩ ﴾ أنّهُ لمّا بيّن رطوبة الحي، ويبوسة الرميم، من المباعدة والمنافاة، وتقرير الشبهة أنَّ الإنسانَ، إذا ماتَ جفت عظامه وتناثرت وتفرقت واختلطت بغيرها من العناصر في جوانب العالم، فكيف يعقل بعد ذلك اجتماعها بأعيانها ثم عود الحياة إلى ذلك المجموع، فأجاب -سُبحانه- عنهم- كما سيأتي- بأنَّ إعادة بدن الميت إلى حال الحياة أمر ممكن، ولو فرضتم أنَّ بدنه قد صار أبعد شيء من الحياة، ومن رطوبة الحي كالحجارة والحديد، فهو كقول القائل أتطمع فيَّ وأنا ابن فلان، فيقول كن ابن السلطان أو ابن من شئت فسأطلب منك حقي[2]،"وَلَمَّا تَكَلَّمَ أَوَّلًا فِي الْإِلَهِيَّاتِ ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ شُبُهَاتِهِمْ فِي النُّبُوَّاتِ، ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ شُبَهَاتِ الْقَوْمِ فِي إِنْكَارِ الْمَعَادِ وَالْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ"[3]. وفي الرجوع إلى سبب نزول الآيات يتضح لنا تفسير الآية أكثر فأكثر، إذ أضحى معناها أقرب إلى الأذهان، قال أبو حيان: "نَزَلَتْ:﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ فِي أَبِي سُفْيَانَ وَالنَّضْرِ وَأَبِي جَهْلٍ وَأُمِّ جَمِيلٍ امْرَأَةِ أَبِي لَهَبٍ، كَانُوا يُؤْذُونَ الرَّسُولَ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ، فَحَجَبَ اللَّهُ أَبْصَارَهُمْ إِذَا قَرَأَ فَكَانُوا يَمُرُّونَ بِهِ وَلَا يَرَوْنَهُ قَالَهُ الْكَلْبِيُّ. وَعَنِ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ فِي امْرَأَةِ أَبِي لَهَبٍ، دَخَلَتْ مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ وَبِيَدِهَا فِهْرٌ وَالرَّسُولِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عِنْدَهُ، فَقَالَتْ: هَجَانِي صَاحِبُكَ، قَالَ: مَا هُوَ

(1) الإسراء: 49 ـــ 52.

(2) ينظر: محمد صديق خان القنَّوجي.(ت 1307هـ). *فتحُ البيان في مقاصد القرآن*. تح: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري. (بيروت: المَكتبة العصريَّة، 1413هـ - 1992م)،403/7،402.

(3) الفخر الرازي،352/20.

بِشَاعِرٍ، قَالَتْ: قَالَ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ وَمَا يُدْرِيهِ مَا فِي جِيدِي؟ فَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: «سَلْهَا هَلْ تَرَى غَيْرَكَ فَإِنَّ مَلَكًا لَمْ يَزَلْ يَسْتُرُنِي عَنْهَا» فَسَأَلَهَا فَقَالَتْ: أَتَهْزَأُ بِي مَا أَرَى غَيْرَكَ؟ فَانْصَرَفَتْ وَلَمْ تَرَ الرَّسُولَ _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_. وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ كَانُوا يُؤْذُونَهُ فِي اللَّيْلِ إِذَا صَلَّى وَجَهَرَ بِالْقِرَاءَةِ، فَحَالَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَذَاهُ"[1].

ونقل لنا القرآن الكريم جانباً من تخبطات وشبهات منكري البعث، فقال:﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا ٤٧﴾[2] والمسحور: الذي اختلط عليه أمره[3]، قال ابن الأعرابي: "مَسْحُوراً: ذاهِبَ الْعَقْلِ مُفْسَداً"[4]. "وَقَالَ بعضُ أهل اللُّغَة فِي قَوْله -جَلَّ وَعَزَّ-: ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا ٤٧﴾ قَوْلَيْنِ: أَحدهمَا أَنه ذُو سَحْرٍ مِثْلُنا، وَالآخر: أَنّه سُحِرَ وأزيل عَن حد الاسْتوَاء"[5]،﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ٤٨﴾[6]، "أَيْ: ضَرَبُوا لَكَ هَذِهِ الْأَمْثَالَ لِيَتَوَصَّلُوا إِلَى تَكْذِيبِكَ"[7] وكل هذه الشُّبه التي ساقوها؛ غرضها إنكار البعث والإعادة بعد تحولهم إلى عظام ورفات ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٩٨﴾[8] و"الرّفات والفتات واحد، ويقال: الرّفات: ما تناثر بلى من كلّ

---

(1) أبو حيّان،55/7.

(2)الإسراء: 47.

(3) ينظر: طنطاوي،111/3.

(4) محمد بن أحمد الهروي.(ت370هـ). *تهذيب اللغة*. تح: محمد عوض مرعب.ط1.(بيروت: دار إحياء التراث العربي،1422هـ - 2001م)،171/4.

(5) ابن منظور،349/4.

(6)الإسراء: 48.

(7) القرطبي،6/13.

(8)الإسراء: 98.

شيء"[1] فالله -سُبْحانه وتعالى- يعلم سبب إثارة الكافرين هذه الشبه والأمثال؛ ليجعلوها مقدمة من مقدمات نكران البعث والنشور، فَرَدَّ الله -تَعَالَى-عليهم بهاتين الآيتين: ﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ﴾[2].أمّا النص القرآني الثاني في نُكران المشركين البعث والنشور بعد تفتتهم وصيرورتهم رفاتًا، فهو قوله-سبحانه-:﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴾[3]. ومُناسبة الآية أنّهُ "لمَّا أجابَ عن شُبُهاتِ مُنكري النبوة، عاد إلى حكاية شبهة منكري المعاد، وتلك الشُّبهة: هي أنَّ الإنسان بعد أن يصير رفاتًا ورميمًا، يَبْعُدُ أنْ يعودَ هو بعينه، فأجابَ اللهُ عنه: بأنَّ من قدر على خلق السموات والأرض، في عظمتها وشدَّتها قادر على أن يخلق مثلهم في صغرهم، وضعفهم؛ نظيره قوله-تعالى-: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾[4]...[5]، وقد لفتَ الباري-جلت قدرته- أنظار الكافرين إلى التفكر في كيفية خلق السماوات والأرض العظيمتين؛ ليروا عظيم خلق الله، ويعرفوا حقيقة حجم أنفسهم، فقال:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ۚ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ ۖ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾[6]"وفي قوله: ﴿ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ قولان: الأول: [معناه] قادر على

(1) أحمد بن محمد بن الهائم.(ت815هـ). *التبيان في تفسير غريب القرآن*. تح: ضاحي عبد الباقي محمد.ط1. (بيروت: دار الغرب الإسلامي،1423هـ -2002م)،213/1.

(2) الإسراء: 50،51 .

(3) الإسراء: 98 .

(4) غافر: 75 .

(5) ابن عادل،394/12.

(6) الإسراء: 99.

أن يخلقهم ثانياً, فعبّر عن خلقهم بلفظ "المثل"؛ كقوله المتكلّمين: إنّ الإعادة مثل الابتداء، والثاني: قادر على أن يخلق عبيداً آخرين يوحّدونه, ويقرُّون بكمال حكمته وقدرته, ويتركون هذه الشبهات الفاسدة؛ وعلى هذا, فهو كقوله–تعالى–:﴿وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٩﴾[1]وقوله: ﴿ وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ﴾ [2]...[3] ولَعَلَّ ما ذكرته عن النَّصِّ الأول من بيانٍ، يُغني عن شرح النَّصِّ الثاني الذي يحمل الألفاظ نفسها، لكنّ المناسبتين متغايرتان فعرّجتُ إليها، كما تقدّم.

المبحث الرابع: أسرار ودلالات تلازمِ التُّربِ والعظامِ في مقولات مُنكري البعث والنشور

أنكر المشركون الإعادة والنشور، في أكثر من موضع في القرآن الكريم، وفي أكثر من مُناسبة، فقال سبحانه رداً على هؤلاء المُنكرين:﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤﴾[4] "والبنان أطراف الأصابع، والنص يؤكد عملية جمع القرآن، بما هو أرقى من مجرد جمعها، وهو تسوية البنان وتركيبه في موضعه كما كان! وهي كناية عن إعادة التكوين الإنساني بأدق ما فيه وإكماله بحيث لا تضيع منه بنان ولا تختل عن مكانها، بل تسوى تسوية ينقص معها عضو و شكل هذا العضو مهما دق وصغر"[5] و" الاستفهام للتوبيخ والتقريع، أي: أيظن هذا

(1) إبراهيم : 19 .
(2) التوبة : 39.
(3) ابن عادل،394/12.
(4) القيامة: 3–4.
(5) سيد قطب،3769/6،3768.

الإنسان الكافر، المكذب للبعث والنشور، أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرقها؟"[1].

وسبب نزول الآية على ما ذكر الثعلبيُّ والبغويُّ والقُرطبيُّ: أَنَّ عَدِيًّا بْنَ رَبِيعَةَ قَالَ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: حَدِّثْنِي عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَتَى تَكُونُ، وَكَيْفَ أَمْرُهَا وَحَالُهَا؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِذَلِكَ، فَقَالَ: لَوْ عَايَنْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَمْ أُصَدِّقْكَ يَا مُحَمَّدُ وَلَمْ أؤمن به، أو يجمع اللَّهُ الْعِظَامَ؟! وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي جَارَيِ السُّوءِ عَدِيَّ بْنَ رَبِيعَةَ، وَالْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيقٍ». وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي عَدُوِّ اللَّهِ أَبِي جَهْلٍ حِينَ أَنْكَرَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ[2].

قال -تَعَالَى- ردًا عليه ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ "وفي المعنى قولان: أحدهما: أنه إخبار بالقدرة على البعث، أيْ: قادرين على أن نسوى أصابعه أي نخلقها بعد فنائها مستوية متقنة، وإنَّما خَصَّ الأصابع دون سائر الأعضاء؛ لدقة عظامها وتفرقها، والآخر: أنه تهديد في الدنيا، أي قادرين على أن نجعل أصابعه مستوية، ملتصقة كيد الحمار وخف الجمل، فلا يمكنه تصريف يديه في منافعه. والأول أليق بسياق الكلام"[3]، فإذا كان الله _تعالى_ قادراً على أن يسوي بنانه في الابتداء، فوجب أن يبقى قادراً على تلك التسوية في الانتهاء[4]، والبَنَان: الأصابع، قيل: سمّيت بذلك؛ لأنّ بها صلاح الأحوال التي يمكن للإنسان أن يبنّ بها، يريد: أن يقيم بها[5] ومن كان قادراً على تسوية وضم هذه السلاميات، على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعضٍ كما كانت أولًا من غير نقصان ولا تفاوت، فلا يعجزه تسوية كبار

(1) محمد علي الصابوني.(ت1442هـ). *صفوة التفاسير*. ط1. (القاهرة: دار الصابوني،1417هـ-1997م)،460/3.

(2) ينظر: الثعلبي،82/10، والبغوي،182/5، والقرطبي،93/19، والحديث غريب؛ لعدم الإسناد، ينظر: محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي.(ت762هـ). *تخريج أحاديث وآثار الكشاف*. تح:عبد الله بن عبد الرحمن .ط1. (الرياض: دار ابن خزيمة ،1414هـ-1993م)،127/4.

(3) ابن جزي الكلبي،432/2.

(4) ينظر: الفخر الرازي،722/30.

(5) ينظر: الراغب الأصفهاني،147/1.

العظام[1]. وإنَّ ورود خمس آيات في القرآن الكريم مقترنة بعبارة (تُرَابًا وَعِظَامًا) لها أسرار وحكم ودلالات كثيرة، فقوله تعالى: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[2] من مقولات القوم، التي ينكرون بها على النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- دعوته إياهم إلى الإيمان باليوم الآخر.. فهم يستبعدون- إلى حد الاستحالة- أن يبعثوا بعد أن يموتوا، ويصبحوا تراباً ورفاتاً.. كما يقول الله_تعالى_ بعد هذا، على لسانهم[3]:﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[4]. يؤكدون استبعاد البعث بعد الموت، ويؤكدون أنّهُ لا حياة إلا هذه الحياة التي هم فيها، وأنهم إنّما يدورون في هذين المدارين، حياة وموت، وموت وحياة.. حيث يموت ناس، ويولد ناس.. وهكذا دواليك.. أما أن يبعث الموتى من قبورهم، ويعودوا إلى الحياة مرة أخرى، فذلك ما لا تقبله عقولهم ولا يتصوره خيالهم، إنَّ الإيمان بالبعث فرع عن الإيمان بالله، وبقدرته، وعلمه، وحكمته.. فإذا لم يكن إيمان بالله، أو دخل على هذا الإيمان خلل وفساد- لم يكن أمر البعث ممكن التصور[5]. نعم، إذا كان الخلل في الإيمان، وكان المعتقد ركيكاً، فنكران البعث ممكن التصور، قال تعالى:﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾

(1) الزمخشري،659/4.
(2) المؤمنون: 34-37.
(3) ينظر: الخطيب،1135/9.
(4) المؤمنون: 37.
(5) ينظر: الخطيب،1135/9.

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾[1]،فمن ركاكة معتقد مُنكري البعث، أنَّهم قالوا استهزاءً على طريق الإنكار والتعجُّب: الوعد بالبعث محال بعد أن يصير الإنسان تراباً وعظاماً فهو من أساطير الأولين، إذ إنَّ الأولين الذين سبقونا قد ماتوا قبلنا منذ زمن طويل، ووعدوا بالبعث ولم يقع بعد ! فهم لم يكتفوا بإنكار البعث فحسب، بل أضافوا إلى ذلك سوء الأدب، والسخرية ممن يؤمن به.... وهكذا الجهلاء المغرورون، لا يقفون من الحق موقف المنكر له فحسب، بل يضيفون إلى ذلك سوء الأدب، وقبح المنطق، والقول بغير علم[2]؛ لأجل ذلك دعاهم الله –تَعَالَى–إلى الإقرار بالبعث، بأن سَاقَ لهم حججاً ثلاث تثبت قدرته على الإعادة، بتذكيرهم بِمَنْ خلق الأرض ومَنْ فيها، والسماوات السبع والعرش العظيم، ومَنْ بيده ملك كلِّ شيءٍ! فكان الجواب أنّها لله، فأثبت أنَّ البعثَ حقٌ بهذه الحُجج الثلاث الدّامغة .

ومن أسرار الجَمْعِ بين التُّراب والعظام أيضاً، قوله تعالى حكاية لأحد الفائزين بالجنة، وهو يقص لإخوانه فيها، حاله مع قرينه، أي: صاحبه الكافر منكر البعث الذي كان يلازمه في الحياة الدنيا، بعد نجاته من النار:﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[3].فكان صاحبه الكافر، يقول له على طريق التوبيخ والإنكار والتعجب، مُشككاً في أمر البعث: ﴿أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [4]. فجاء بالتراب والعظام دلالة على عدم إعادة تلك العظام بعد تحولها إلى رماد وحطام .

فهذا المؤمن كان يعرض على إخوانه، أن يشاركوه في الاطلاع على مصير هذا القرين الكافر بالبعث فيقول لهم: ﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾، أي: هل أنتم

(1) المؤمنون: 81–89

(2) ينظر: طنطاوي،58/10.

(3) الصافات:52–57.

(4) الصافات:52،53.

مطلعون معي على أهل النار لنرى جميعاً حال ذلك القرين الذي حكيت لكم حاله؟.. فَاطَّلَعَ ذلك الرجل المؤمن ومعه إخوانه على أهل النار. فرآه في سواء الجحيم، أي: فرأى ذلك الرجل الذي كان قرينه وصاحبه الملازم له في الدنيا، ملقى به في سواء الجحيم، أي: في وسط النار... [1]."واطلاع أهل الجنة على أهل النار، ومعرفة من فيها، مع ما بينهما من التباعد غير بعيد بأن يخلق الله- تعالى- فيهم حدة النظر، ويعرفهم من أرادوا الاطلاع عليه"[2].

فحينما رأى العبد الصالح، صاحبه الخاسر مغموساً في النار، خاطبه بالقول: ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ٥٦ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٥٧﴾[3]، أي: تهلكني وقيل تغويني ومن أغوى إنساناً فقد أرداه وأهلكه[4]. وفي السورة نفسها- الصافات- زادَ مُنكرو البعث: آباءهم الأولون لتأكيد عدم العودة للحساب يعنون أنهم أقدم، فبعثهم أبعد وأبطل[5] قال -تَعَالَى-: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ١٥ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ١٦ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ١٧ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ١٨ ﴾[6] وقال: ﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٤٧ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ٤٨ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٥٠ ﴾[7]. ولا شك أنَّ قولَهمْ هذا دليلٌ واضحٌ على انطماسِ بصائرِهِمْ، وعلى شدِّةِ غفلتِهِمْ عن آثار قدرة الله-تَعَالَى- التي لا يعجزها شيء، والتي من آثارها إيجادهم من العدم، ولذا لقن الله- تعالى- نبيه -صلّى الله عليه وسلم- الجواب الذي يخرس ألسنتهم فقال: ﴿ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ١٨ ﴾، أي: قل لهم- أيها الرسول الكريم- ستبعثون أنتم وآباؤكم الأقدمون، وأنتم جميعاً داخِرُونَ، أيْ: صاغرون مستسلمون، لا تستطيعون التأخر أو

(1) ينظر: طنطاوي،86/12.
(2) الآلوسي،88/12.
(3) الصافات: 57.
(4) ينظر: الخازن،19/4.
(5) ينظر: الزمخشري،38/4.
(6) الصافات: 15-18.
(7) الواقعة: 47-50.

التردد.. يقال: دخر الشخص يدخر- بفتح الخاء- دخوراً، إذا ذل وصغر وهان[1]، انظر إلى قولهم: ﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾قالوه على جهة الاستبعاد، فالمعرفة لهم مفقودة، والبصائر لهم مسدودة، وقلوبهم عن التوحيد مصدودة"[2].

فالقرآن الكريم لخَّص لنا، مُوقفَ مُنكري البعثِ في آياتٍ كثيرة، جاءت في صيغٍ متنوعة وبأسلوب استفهاميٍّ مُتعدّد, تتفاوتُ دلالته بين الإنكارِ والرَّفضِ أحياناً, وبين التَّعجُبِ والدَّهشةِ أحياناً أخرى، ومن هذه الجولة السريعة في القرآن الكريم حول الجمع بين التراب والعظام: تبين أنَّ الباري -جلّت قدرته-أعاد إلى أذهان الكافرين المشككين، فكرة خلقهم أول الأمر، فالذي خلقهم من العدم، ولم يكونوا شيئًا قادرٌ على إعادتهم من جديد، فالإعادة كما هو معلوم أهون من الإيجاد الأول، وإن كان المؤمنون يعلمون أنَّ الله لا يعجزه شيء، فالخلق الأول يستوي عند الله مع الإعادة، لكنه أراد لفت أنظار الكافرين إلى أمرٍ معلومٍ يتفق عليه العقلاء: الإيجاد من العدم أهون على الله من الإعادة والترميم. فضلاً عن ذلك، أنّي بحثت كثيراً في الآيات المتقدّمة الجامعة بين لفظتي التراب والعظام، وسبب تقديم التراب على العظام، فلم أجد جواباً شافياً، إلى أن وجَدتُ الجواب الكافي عند أبي الثناء الآلوسي -رحمه الله- إذ قال:"وتقديم التراب؛ لعراقته في الاستبعاد، وانقلابه من الأجزاء البادية، أو وكان متقدموكم تراباً صِرفًا ومتأخروكم عظاماً"[3].وبهذه الفائدة من هذا المطلب أختم البحث، وإنّي لأرجو الله -جَلَّ جَلالُهُ- أن يكون الذي كتبته خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به وينفع به غيري.

(1) ينظر: طنطاوي،75/12.

(2) عبد الكريم بن هوازن القشيري.(ت465هـ). *لطائف الإشارات*. تح: إبراهيم البسيوني.ط3. (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب)،229/3.

(3) الآلوسي،232/9.

الخاتمة – وأسأل الله حُسنها–

الحمد لله ربِّ العالمين، والصّلاة والسَّلام على سيِّدِ الخلقِ وإمام المُرسلين، سيّدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد.

فقد وفقني الله –تعالى– إلى إتمام هذا البحث الذي درستُ فيه العظم البشري في القرآن الكريم أوصافه أسراره دلالاته، من خلال سوق الآيات التي تحمل وصف العظم البشري، ودراستها على ضوء أقوال مفسرينا الأجلاء في كُتبهم، وما فتحه الله عليِّ في طريقة عرضها، ولا أدعي أنّي قد استوعبت معانيها جميعاً، فالكمال لله وحده، والعصمة لأنبيائه ورسله، لكنّي اجتهدت فيها قدر ما أستطيع، حيث أفدت من مطالعة كتب السابقين في هذا الشأن، راجياً من الله التوفيق والقبول، وقد تحقق لي بهذا البحث– –بفضل الله– نتائج كثيرة، أهمها ما يأتي:

1. تَكَشَّفَ من خلال البحث: دقة اختيار اللفظة القرآنية الفريدة، وتنوع دلالاتها، وتأثيرها

في نفوس السامعين، وأكاد أجزم أنَّ القرآن الكريم قد بلغ في فصاحته الغاية العظمى، فما من لفظٍ إلّا وقد أخذ موضعه، فلا يمكن أن يقوم لفظ آخر مقام اللفظ الآخر، فكلٌ قد أخذ موضعه ومكانه المناسب.

2. إنَّ أوصاف العظم البشري، الوارد ذكرها في القرآن، إنما هي من تسميات منكري البعث والنشور في الدّرجة الأساس، إذ كانوا يأتون بتلك الأوصاف؛ لتفنيد المعاد، فاقتنصت تلك الأوصاف للدلالة على معاني جديدة أخذتها من قول مُنكِري المَعاد سوى وصف واحدٍ وَرَدَ ذكره في القرآن الكريم للتدليل على قُدرةِ اللهِ –تَعَالَى– في الخلق والإنشاء، وآخرُ ورد على لسان نبيِّ اللهِ زكريّا–عليه السّلام–.
3. تبيّن أنَّ منكري البعث، وقع اختيارهم على العظم دون سواه؛ لأنَّ العظمَ أبعدَ عن الحياة؛ لعدمِ الإحساس به، ولهذا وصفوه بتوصيفات عِدّةٍ تقوي–حسب زعمهم– بُعْدَ الإعادةِ لعظام بني البشر.

4. إنما سُمِّيَّ العظم- لُغويًّا- عظمًا؛ لقوّته وشِدّته وصلابته، وللعظام أشكال وأحجام شتى الطويلة والصغيرة والمفلطحة، لها وظائف خاصّة تؤدى على أتم وجهٍ وأكمله.
5. أسفر البحثُ أيضًا على انعدام كلمة بشر في الشّعر الجاهلي -كما قرره أحدُ الباحثين المشهود له بغزارة العلم وحُسنَ التآليف- فاللفظة إذن لم ترد إلّا في كتاب الله -عزَّ وجلَّ-
6. مَرَّ الإنسان بأطوار عِدّة قبل أن يخلق إنسانًا سويًّا مكتمل الأعضاء، وأبرز ما يلفت نظر الباحث في جسم الإنسان عَظمة؛ لما يحتويه هذا الجزء، من دقائق وأسرار كثيرة، غاية في الروعة والدهشة، وأنَّ طور تكوين عظم الإنسان، يجيء في الخلق والإيجاد بعد طور تكوين المضغة بفترةٍ قصيرةٍ، كما دلَّ عليه حرف العطف(الفاء) من قوله-تعالى-:﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾.
7. شاءت حِكْمَةُ اللهِ- سُبْحانَهُ وتعالى- أنّهُ لم يخلق بني البشر كاملي الأعضاء من أول وهلة، بل جعل أصلهم التراب ثمَّ النطفة؛ لكيلا ينسوا أصل تكوينهم الأول، وليعلمنا رَبُنا الأخذ بالأسباب، فما من سبب في الوجود إلّا وله مسبب.
8. إنَّ الأوصاف القرآنية للعظم البشري- محلّ البحث- التي وقعت عليها الدّراسة ولم أجد غيرها: العظم الواهن والرّميم، والنّاخر، والرُّفات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا مُحمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

❖ **بعد القرآن الكريم.**

1. ابن أبي العز الحنفي، محمد بن علاء الدين عليّ.(ت792هـ). شرح العقيدة الطحاوية.تح: أحمد شاكر.ط1.السعودية: وزارة الأوقاف، 1418هـ.
2. ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم.(ت606هـ).النهاية في غريب الحديث والأثر.تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي.بيروت: المكتبة العلمية، 1399هـ-1979م.
3. ابن جزي الكلبي، محمد بن أحمد بن محمد.(ت741هـ). التسهيل لعلوم التنزيل. تح: عبد الله الخالدي .ط1.بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم ، 1416هـ ـ 1995م.
4. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد.(ت597هـ). زاد المسير في علم التفسير.تح: عبد الرزاق المهدي.ط1. بيروت: دار الكتاب العربي، 1422هـ-2001م.
5. ابن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني.(ت241هـ).مسند أحمد بن حنبل.تح: أبي المعاطي النوري.ط1.بيروت:عالم الكتب،1419هـ ـ 1998م.
6. ابن عادل، عمر بن علي بن عادل.(ت775هـ).اللباب في علوم الكتاب.تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض.ط1. بيروت: دار الكتب العلمية،1419هـ-1998م.
7. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. التحرير والتنوير. تونس: دار سحنون،1418هـ ـ1997م.
8. ابن عرفة التونسي، محمد بن محمد.(ت803هـ).تفسير الإمام ابن عرفة. تح: حسن المناعي.ط. تونس:مركز البحوث بالكلية الزيتونية ،1986م.
9. ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي.(ت542هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.تح: عبد السلام عبد الشافي .ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ-2001م.

10. ابن فارس، أحمد بن فارس الرازي.(ت395هـ). معجم مقاييس اللغة. تح: عبد السَّلام محمد هَارُون.اتحاد الكتاب العرب،1423هـ- 2002م.

11. ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي.(ت774هـ). تفسير القرآن العظيم. تح: سامي بن محمد سلامة .ط2. دار طيبة، 1420هـ-1999م.

12. أبو حيّان، محمد بن يوسف.(ت745هـ). البحر المحيط في التفسير. تح: صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر، 1420هـ-1999م.

13. أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى.(ت982هـ). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

14. الآلوسي: محمود بن عبد الله الحسيني.(ت1270هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تح: علي عبد الباري عطية .ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ-1994م.

15. الأندلسي، مكي بن أبي طالب.(ت437هـ). الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه.تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي .ط1. جامعة الشارقة،1439هـ- 2008م.

16. ابن العربي، محمد بن عبد الله.(ت543هـ).أحكام القرآن. تح:محمد عبد القادر عطا.ط3.بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ- 2003م.

17. ابن الهائم، أحمد بن محمد.(ت815هـ). التبيان في تفسير غريب القرآن. تح: ضاحي عبد الباقي محمد.ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي ،1423هـ-2002م.

18. ابن مجاهد، أحمد بن موسى.(324هـ).السبعة في القراءات.تح: شوقي ضيف.ط2. مصر: دار المعارف، 1400هـ.

19. ابن منظور،محمد بن مكرم الأفريقي.(ت711هـ).لسان العرب.ط3.بيروت: دار صادر،1414هـ- 1994م.

20. البغوي، الحسين بن مسعود.(ت510هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن.تح: عبد الرزاق المهدي.ط1. بيروت: دار إحياء التراث،1420هـ.

21. البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد.(ت685هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي.ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي ،1418هـ-1997م.

22. توفيق، محمد عزالدين. دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث.ط. القاهرة: دار السلام،1407هـ- 1986م.

23. الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف. الجواهر الحسان في تفسير القرآن. تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود.ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي،1418هـ.

24. الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم.(ت427هـ). الكشف والبيان عن تفسير القرآن.تح: أبو محمد بن عاشور.ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي ،1422هـ-2002م.

25. جلمسر، برنارد. كُلّ شيء عن جسم الإنسان. ترجمة صلاح الدين سلامة.ط4.مصر:دار المعارف.

26. الجوهري، إسماعيل بن حماد.(ت393هـ). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.تح: أحمد عبد الغفور عطار.ط4.بيروت: دار العلم للملايين، 1407هـ-1987م.

27. الخازن، علي بن محمد.(ت741هـ). لباب التأويل في معاني التنزيل. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ-1995م.

28. الخطيب، عبدالكريم يونس.(ت1390هـ). التفسير القرآني للقرآن. القاهرة: دار الفكر العربي.

29. دروزة، محمد عزت.(ت1404هـ). التفسير الحديث. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1383هـ ـ 1963م.

30. الدمشقي، محمد بن عبد الله بن محمد.(ت842هـ). الرَّد الوافر.تح: زهير الشاويش.ط1. بيروت: المكتب الإسلامي، 1393هـ-1973م.

31. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد.(ت502هـ). المفردات في غريب القرآن.تح: صفوان عدنان الداودي.ط1. دمشق-بيروت: دار القلم، الدار الشامية، 1412هـ-1992م.

32. الزَّبِيديُّ،محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق.(ت1205هـ). تاج العروس من جواهر القاموس. مجموعة من المحققين. دار الهداية.

33. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد.(ت1396هـ). الأعلام.ط15. دار العلم للملايين،1422هـ-2002م.

34. الأزرقي، محمد بن عبد الله بن أحمد.(ت250هـ). أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، تح: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش.ط1.مكتبة الأسدي،1424هـ- 2003م.

35. الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد.(ت538هـ). الفائق في غريب الحديث والأثر. تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم.ط2. بيروت: دار المعرفة.

36. الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد.(ت538هـ). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.ط1. بيروت: دار الكتاب العربي ،1407هـ.

37. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم.(ت 548هـ).الملل والنحل. تح: محمد سيد كيلاني.بيروت: دار المعرفة،1404هـ.

38. الزيلعي، محمد عبد الله بن يوسف.(ت762هـ). تخريج أحاديث وآثار الكشاف. تح:عبد الله بن عبد الرحمن .ط1. الرياض: دار ابن خزيمة ،1414هـ ـ 1993م.

39. السامرائي، إبراهيم. من وحي القرآن.ط1. العراق: اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، 1401هـ1981م.

40. السجستاني، محمد بن عزيز.(ت330هـ). غريب القرآن.تح: محمد أديب عبد الواحد جمران.دار قتيبة، 1416هـ- 1995م.

41. السعدي، عيسى بن عبد الله آثار. المثل الأعلى. ط1. الطائف: دار ابن الجوزي، 1427هـ-2006م.

42. السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار.(ت489هـ). تفسير القرآن.تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم.ط1. الرياض: دار الوطن، 1418هـ-1997م.

43. سيّد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي .(ت1386هـ). في ظلال القرآن.ط32. القاهرة. دار الشروق ،1423م-2002م.

44. سيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي.(ت1386هـ). مشاهد القيامة في القرآن. بغداد: أنوار دجلة.

45. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر.(ت911هـ) .الدر المنثور في التفسير بالماثور. تح: مركز هجر للبحوث. مصر: دار هجر ،1424هـ ـ 2003م.

46. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار.(ت1393هـ). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الفكر، 1415هـ-1995م.

47. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. (ت1250هـ). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. ط1. دمشق بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب،1414هـ-1994م.

48. الصابوني، محمد علي.(ت1442هـ).صفوة التفاسير.ط1. القاهرة: دار الصابوني،1417هـ-1997م.

49. الطبري، محمد بن جرير.(ت310هـ).جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي.ط1. مصر: دار هجر،1422هـ - 2001م.

50. طنطاوي، محمد سيّد.(ت1431هـ).التفسير الوسيط للقرآن الكريم.ط1. القاهرة: دار نهضة مصر.

51. الفخر الرازي، محمد بن عمر.(ت606ه).مفاتيح الغيب.ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي،1420هـ-1999م.

52. الفراء، يحيى بن زياد.(ت207هـ).معاني القرآن. تح: أحمد يوسف النجاتي وآخرين .ط. مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة.

53. الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو.(ت170هـ). العين. تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال.

54. الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب.(ت817هـ).القاموس المحيط. تح: مؤسسة الرسالة .ط8.بيروت: مؤسسة الرسالة،1426هـ- 2005م.

55. الفيومي، أحمد بن محمد.(ت نحو770هـ). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. بيروت: المكتبة العلمية.

56. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر.(ت671هـ).الجامع لأحكام القرآن.تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.ط2. القاهرة: دار الكتب المصرية،1384هـ- 1964م.

57. القشيري، عبد الكريم بن هوازن.(ت465هـ). لطائف الإشارات.تح: إبراهيم البسيوني.ط3. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

58. القِنَّوجي، محمد صديق خان.(ت 1307هـ). فتحُ البيان في مقاصد القرآن. تح: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري.بيروت: المَكتبة العصريَّة، 1413هـ-1992م.

59. الهروي، محمد بن أحمد.(ت370هـ). تهذيب اللغة.تح: محمد عوض مرعب.ط1. بيروت، دار إحياء التراث العربي،1422هـ-2001م.

60. العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل.(ت: نحو 395هـ). الفروق اللغوية. العسكري.تح: محمد إبراهيم سليم. القاهرة: دار العلم، القاهرة.

61. العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى.(ت982هـ). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

62. الماوردي، علي بن محمد.(ت450هـ).النكت والعيون.تح: ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم.بيروت: دار الكتب العلمية.

63. المخزومي، مجاهد بن جبر.(ت104هـ). تفسير. تح: محمد عبد السلام أبو النيل.ط1. مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة،1410هـ-1989م.

64. النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود.(ت710هـ).مدارك التنزيل وحقائق التأويل. تح: يوسف علي بديوي.ط1. بيروت: دار الكلم الطيب،1419هـ-1998م.

65. الواحدي، علي بن أحمد.(ت468هـ). الوسيط في تفسير القرآن المجيد.تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض وآخرين.ط1. بيروت: دار الكتب العلمية ، 1415هـ-1994م.

References

❖ **After the Holy Quran.**

- *Abu al-Saud al-Amadi, Muhammad ibn Muhammad ibn Mustafa (d. 982 AH). Iirshad Aleaql Alsalim Iilaa Mazaya Alkitab Alkarim. Dar Ihya al-Turath al-Arabi.*
- *Abu Hayyan, Muhammad ibn Yusuf (d. 745 AH). Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir. ed.Sidqi Muhammad Jamil. Beirut: Dar al-Fikr, 1420 AH-1999 AD.*
- *al-Alusi, Mahmud ibn Abdullah al-Husayni (d. 1270 AH). Ruh al-Maani fi Tafsir al-Quran al-Azim wa al-Sab al-Mathani .ed. Ali Abd al-Bari Attia. 1nd ed. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1415 AH-1994 AD.*
- *Al-Amadi, Muhammad ibn Muhammad ibn Mustafa (d. 982 AH). Iirshad Aleaql Alsalim Iilaa Mazaya Alkitab Alkarim. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-Arabi.*
- *al-Andalusi, Makki ibn Abi Talib (d. 437 AH). Alhidayat Iilaa Bulugh Alnihayat fi Eilm Maeani Alquran Watafsirihi, Waahkamihi, Wajamal min Funun Eulumih. ed. Collection of University Theses, College of Graduate Studies and Scientific Research. 1nd ed. University of Sharjah, 1439 AH-2008 AD.*
- *Al-Askari, Al-Hasan ibn Abdullah ibn Sahl (d. c. 395 AH). Alfuruq Allughawia. Al-Askari. ed.Muhammad Ibrahim Salim. Cairo: Dar Al-Ilm, Cairo.*
- *Al-Azraqi, Muhammad ibn Abdullah ibn Ahmad (d. 250 AH). Akhbar Makat Wama Ja Fiha min Alathar. ed. Abdul-Malik ibn Abdullah ibn Duhaish. 1nd ed. Al-Asadi Library, 1424 AH - 2003 AD.*
- *al-Baghawi, al-Husayn ibn Mas'ud (d. 510 AH). Maalim al-Tanzil fi Tafsir al-Quran. ed. Abd al-Razzaq al-Mahdi. 1nd ed. Beirut: Dar Ihya al-Turath, 1420 AH.*
- *Al-Baydawi, Abdullah ibn Umar ibn Muhammad (d. 685 AH). Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Tawil, ed. Muhammad Abd al-Rahman al-Marashli, 1nd ed. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 1418 AH-1997 AD.*
- *Al-Dimashqi, Muhammad ibn Abdullah ibn Muhammad (d. 842 AH). Al-Rad Al-Wafer. ed. Zuhair Al-Shawish. 1nd ed. Beirut: Al-Maktab Al-Islami, 1393 AH-1973 AD.*
- *Al-Fakhr al-Razi, Muhammad ibn Umar (d. 606 AH). Mafatih Alghayb. 3nd ed. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 1420 AH-1999 AD.*
- *Al-Farahidi, al-Khalil ibn Ahmad ibn Amr (d. 170 AH). Al-Ayn. ed. Mahdi al-Makhzoumi and Ibrahim al-Samarrai. Dar and Library of al-Hilal.*

• *Al-Farra, Yahya ibn Ziyad (d. 207 AH). Maeani Alquran. ed. Ahmad Yusuf al-Najati and others. Egypt: Dar al-Masriya for Authorship and Translation.*
• *Al-Fayruzabadi, Muhammad ibn Yaqub (d. 817 AH). Al-Qamus al-Muhit. ed. Muassasat al-Risala. 8nd ed. Beirut: Mu'assasat al-Risala, 1426 AH-2005 AD.*
• *Al-Fayyumi, Ahmad ibn Muhammad (d. c. 770 AH). Al-Misbah al-Munir fi Gharib al-Sharh al-Kabir. Beirut: Al-Maktaba al-Ilmiyyah.*
• *Al-Harawi, Muhammad ibn Ahmad (d. 370 AH). Tahdhib al-Lugha. ed.Muhammad Awad Marab. 1nd ed. Beirut, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 1422 AH - 2001 AD.*
• *Al-Jawhari, Ismail ibn Hammad (d. 393 AH). Alsihah Taj Allughat Wasihah Alearabia. ed. Ahmad Abd al-Ghafur Attar. 4nd ed. Beirut: Dar al-Ilm lil-Malayin, 1407 AH-1987 AD.*
• *Al-Khatib, Abd al-Karim Yunus (d. 1390 AH). Altafsir Alquraniu Lilquran. Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi.*
• *Al-Khazin, Ali ibn Muhammad (d. 741 AH). Libab Altaawil fi Maeani Altanzil. 1nd ed. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1415 AH-1995 AD.*
• *Al-Makhzoumi, Mujahid ibn Jabr (d. 104 AH). Tafsir. ed. Muhammad Abd al-Salam Abu al-Nil. 1nd ed. Egypt: Dar al-Fikr al-Islami al-Hadithah, 1410 AH-1989 AD.*
• *Al-Mawardi, Ali ibn Muhammad (d. 450 AH). Al-Nukat wa al-Uyun. ed. Ibn Abd al-Maqsud ibn Abd al-Rahim. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.*
• *Al-Nasafi, Abdullah ibn Ahmad ibn Mahmoud (d. 710 AH). Madarik al-Tanzil wa Haqaiq al-Tawil. ed. Yusuf Ali Badawi. 1nd ed. Beirut: Dar al-Kalim al-Tayyib, 1419 AH - 1998 AD.*
• *Al-Qannuji, Muhammad Siddiq Khan (d. 1307 AH). Fath al-Bayan fi Maqasid al-Quran. ed.Abdullah ibn Ibrahim al-Ansari. Beirut: Al-Maktaba al-Asriya, 1413 AH - 1992 AD.*
• *Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad ibn Abi Bakr (d. 671 AH). Aljamie Liahkam Alquran. ed.Ahmad al-Bardouni and Ibrahim Atfeesh. 2nd ed. Cairo: Dar al-Kutub al-Masriya, 1384 AH - 1964 AD.*
• *Al-Qushayri, Abd al-Karim ibn Hawazin (d. 465 AH). Lataif al-Isharat. ed.Ibrahim al-Basyouni. 3nd ed. Egypt: General Egyptian Book Organization.*
• *Al-Raghib Al-Isfahani, Al-Hussein ibn Muhammad (d. 502 AH). Al-Mufradat fi Gharib Al-Quran. ed. Safwan Adnan Al-Dawudi. 1nd ed. Damascus-Beirut: Dar Al-Qalam, Dar Al-Shamiya, 1412 AH-1992 AD.*
• *Al-Sabuni, Muhammad Ali (d. 1442 AH). Safwat Altafasir. 1nd ed. Cairo: Dar Al-Sabuni, 1417 AH - 1997 AD.*
• *Al-Sadi, Issa ibn Abdullah Athar. Almathal Alaelaa. 1nd ed. Taif: Dar*

Ibn al-Jawzi, 1427 AH - 2006 AD.

- *Al-Sam'ani, Mansour ibn Muhammad ibn Abd al-Jabbar (d. 489 AH). Tafsir Alquran. ed.Yasser ibn Ibrahim and Ghanim ibn Abbas ibn Ghanim. 1nd ed. Riyadh: Dar al-Watan, 1418 AH-1997 AD.*
- *Al-Samarrai, Ibrahim. Min Wahy Alquran. 1nd ed. Iraq: National Committee for the Celebration of the Beginning of the Fifteenth Century AH, 1401 AH - 1981 AD.*
- *Al-Shahrastani, Muhammad ibn 'Abd al-Karim (d. 548 AH). Al-Milal wa al-Nihal. ed. Muhammad Sayyid Kilani. Beirut: Dar al-Ma'rifah, 1404 AH.*
- *al-Shanqiti, Muhammad al-Amin ibn Muhammad al-Mukhtar (d. 1393 AH). Adwa al-Bayan fi Idah al-Quran bi al-Quran. Beirut: Dar Al-Fikr, 1415 AH - 1995 AD.*
- *Al-Shawkani, Muhammad ibn Ali ibn Muhammad (d. 1250 AH). Fath Alqadir Aljamie Bayn Faniyi Alriwayat Waldirayat min Eilm Altafsir. 1nd ed. Damascus-Beirut: Dar Ibn Kathir, Dar Al-Kalim Al-Tayyib, 1414 AH - 1994 AD.*
- *Al-Sijistani, Muhammad ibn Aziz (d. 330 AH). Gharib al-Quran. ed.Muhammad Adeeb Abd al-Wahid Jamran. Dar Qutaiba, 1416 AH - 1995 AD.*
- *al-Suyuti, Abd al-Rahman ibn Abi Bakr (d. 911 AH). Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bi al-Mathur. ed.Hijr Center for Research. Egypt: Dar al-Hijr, 1424 AH-2003 AD.*
- *Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir (d. 310 AH). Jami Al-Bayan an Tawil Ayat Al-Quran. ed. Abdullah ibn Abdul-Muhsin Al-Turki. 1nd ed. Egypt: Dar Al-Hijr, 1422 AH - 2001 AD.*
- *Al-Thaalibi, Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Makhlouf. Al-Jawahir al-Hasan fi Tafsir al-Quran, ed. Muhammad Ali Muawwad and Adel Ahmad Abd al-Mawjud, 1nd ed. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, 1418 AH.*
- *Al-Thaalibi, Ahmad ibn Muhammad ibn Ibrahim (d. 427 AH). Al-Kashf wa al-Bayan an Tafsir al-Quran, ed. Abu Muhammad ibn Ashur, 1nd ed. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 1422 AH-2002 AD.*
- *Al-Wahidi, Ali ibn Ahmad (d. 468 AH). Al-Wasit fi Tafsir al-Quran al-Majid. ed. Adel Ahmad Abd al-Mawjoud, Ali Muhammad Muawwad, and others. 1nd ed. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1415 AH - 1994 AD.*
- *Al-Zamakhshari, Mahmud ibn Amr ibn Ahmad (d. 538 AH). Al-Faiq fi Gharib al-Hadith wa al-Athar. ed. Ali Muhammad al-Bajawi and Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. 2nd ed. Beirut: Dar al-Marifah.*

• *Al-Zamakhshari, Mahmud ibn Amr ibn Ahmad (d. 538 AH). Al-Kashaf an Haqaiq al-Tanzil wa Uyun al-Aqawil fi Wujub al-Tawil. 1nd ed. Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1407 AH.*
• *Al-Zarkali, Khair Al-Din ibn Mahmud ibn Muhammad (d. 1396 AH). Al-Alam. 15nd ed. Dar Al-Ilm Lil-Malayin, 1422 AH-2002 AD.*
• *Al-Zayla'i, Muhammad Abdullah ibn Yusuf (d. 762 AH). Takhrij Ahadith Wathar Alkishaf. ed.Abdullah ibn Abd al-Rahman. 1nd ed. Riyadh: Dar Ibn Khuzaymah, 1414 AH - 1993 AD.*
• *Al-Zubaidi, Muhammad ibn Muhammad ibn Abd Al-Razzaq (d. 1205 AH). Taj Al-Arus min Jawahir Al-Qamus. A group of researchers. Dar Al-Hidayah.*
• *Darwaza, Muhammad Izzat (d. 1404 AH). Altafsir Alhadith. Cairo: Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyyah, 1383 AH-1963 AD.*
• *Gelser, Bernard. Kul Shay ean Jism Aliinsan. ed. Salah El-Din Salama. 4nd ed. Egypt: Dar Al-Maaref.*
• *Ibn Abi al-Izz al-Hanafi, Muhammad ibn Ala al-Din Ali (d. 792 AH). Sharh Aleaqidat Altuhawia. ed.Ahmad Shakir. 1nd ed. Saudi Arabia: Ministry of Endowments, 1418 AH.*
• *Ibn Adil, Omar ibn Ali ibn Adil (d. 775 AH). Al-Lubab fi Ulum Al-Kitab. ed.Adel Ahmad Abd Al-Mawjoud and Ali Muhammad Muawwad. 1nd ed. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1419 AH - 1998 AD.*
• *Ibn al-Arabi, Muhammad ibn Abdullah (d. 543 AH). Ahkam Alquran. ed. Muhammad Abd al-Qadir Atta. 3nd ed. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1424 AH - 2003 AD.*
• *Ibn al-Athir, Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Karim (d. 606 AH). Alnihayat fi Gharayb Alhadith Walathar. ed.Tahir Ahmad al-Zawi and Mahmoud Muhammad al-Tanahi. Beirut: Al-Maktaba al-Ilmiyyah, 1399 AH-1979 AD.*
• *Ibn al-Ha'im, Ahmad ibn Muhammad (d. 815 AH). Al-Tibyan fi Tafsir Gharib al-Quran. ed. Dahi Abd al-Baqi Muhammad. 1nd ed. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 1423 AH - 2002 AD.*
• *Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman ibn Ali ibn Muhammad (d. 597 AH). Zad al-Masir fi Ilm al-Tafsir. ed.Abd al-Razzaq al-Mahdi. 1nd ed. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1422 AH - 2001 AD.*
• *Ibn Arafa Al-Tunisi, Muhammad ibn Muhammad (d. 803 AH). Tafsir Imam Ibn Arafa. ed.Hassan Al-Mannai. Tunis: Research Center at the Zaytouna College, 1986 AD.*
• *Ibn Ashur, Muhammad Al-Taher ibn Muhammad. Al-Tahrir wa Al-Tanwir. Tunis: Dar Sahnun, 1418 AH - 1997 AD.*
• *Ibn Atiyya, Abd al-Haqq ibn Ghalib al-Andalusi (d. 542 AH). Al-Muharrir al-Wajeez fi Tafsir al-Kitab al-Aziz .ed.Abd al-Salam Abd al-*

Shafi. 1nd ed. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1422 AH-2001 AD.

- *Ibn Faris, Ahmad ibn Faris al-Razi (d. 395 AH). Muejam Maqayis Allughah. ed.Abd al-Salam Muhammad Harun. Arab Writers Union, 1423 AH-2002 AD.*
- *Ibn Hanbal, Ahmad ibn Hanbal Al-Shaybani (d. 241 AH). Musnad Ahmad ibn Hanbal. ed.Abu Al-Maati Al-Nuri. 1nd ed. Beirut: Alam Al-Kutub, 1419 AH - 1998 AD.*
- *Ibn Juzay al-Kalbi, Muhammad ibn Ahmad ibn Muhammad (d. 741 AH). At-Tashil li-Ulum al-Tanzil. ed.Abdullah al-Khalidi. 1nd ed. Beirut: Dar al-Arqam ibn Abi al-Arqam, 1416 AH-1995 AD.*
- *Ibn Kathir, Ismail ibn Umar al-Dimashqi (d. 774 AH). Tafsir al-Quran al-Azim. ed.Sami ibn Muhammad Salamah. 2nd ed. Dar Taybah, 1420 AH-1999 AD.*
- *Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram al-Ifriqi (d. 711 AH). Lisan al-Arab. 3nd ed. Beirut: Dar Sadir, 1414 AH - 1994 AD.*
- *Ibn Mujahid, Ahmad ibn Musa (d. 324 AH). Alsabeat fi Alqiraat. ed. Shawqi Dayf. 2nd ed. Egypt: Dar al-Maarif, 1400 AH.*
- *Sayyid Qutb, Ibrahim Hussein al-Shadhili (d. 1386 AH). Fi Zilal Alquran. 32nd ed. Cairo: Dar al-Shorouk, 1423 AD-2002 AD.*
- *Sayyid Qutb, Ibrahim Hussein al-Shadhili (d. 1386 AH). Mashahid Alqiamat fi Alquran. Baghdad: Anwar Dijlah.*
- *Tantawi, Muhammad Sayyid (d. 1431 AH). Altafsir Alwasit Lilquran Alkarim. 1nd ed. Cairo: Dar Nahdat Misr.*
- *Tawfiq, Muhammad Izz al-Din. Dalil Alanfus Bayn Alquran Alkarim Waleilm Alhadith, 1nd ed. Cairo: Dar al-Salam, 1407 AH-1986 AD.*